الهَدْيُ النَبَوِيُّ
فِيْ تَجْدِيْدِ الْطُرُقِ الْدّعَوِيَّةِ

الأستاذ المساعد الدكتور
فهد طلال سليم الخالدي
كلية الإمام الاعظم رحمه الله الجامعة
قسم أصول الدين / نينوى

المقدمة

الحمد لله بارئ النَسم، المُغْدِقِ على خلقه بالـخيراتِ والنِّعَم، والصلاة والسلام على مَنْ أُوْتِيَ الفَصَاحَة والحِكَم سَيْدِنا مُحَمَّدٍ ﷺ، الرسولِ الأَعْظَم، والمُعَلِّمِ الأَحْكَم، وعلى آلِه ذوي النسب الأَكْرَم، وعلى أصحابه أولي المَكَارِمِ والقِيَم، وبـعـد:

فإنَّ المتأمل في أحاديث النبي ﷺ يجد التنوع البديع في وسائل دعوته للناس وأساليب إقناعهم، بعيداً كل البعد عن النمط الواحد الممل، ويرجع ذلك إلى أنَّ النبي ﷺ قد أتى بأنواع متعددة، وألوان مختلفة من أساليب الخطاب، التي لم تعهدها العرب من قبله، في حين أنه وَحْيٌ يُوْحَى وليس بحاجة إلى تنوع الأسلوب أو تغاير الخطاب، وبأي أسلوب أتى خطابه كان مقبولاً لديهم، لَكِنَّ المُعَلِّمَ الذي أوتي جوامع الكلم ﷺ يعلم أمته ولاسيما الدعاة منهم إلى ضرورة تحديث أساليب الخطاب لمواكبة مستجدات العصر، وذلك لمدى حاجة أئمة المسلمين وعامتهم اليوم إلى صياغة جديدة لفن التخاطب والتحاور فيما بينهم، ومع غيرهم من الأمم، انطلاقا من المنبر، وكيفية توظيفه أداةً فعالةً في صنع المجتمع الراقي، وانتهاءً بمجادلة أهل الكتاب بالتي هي أحسن، مع سعة الإدراك في تسخير كل الطاقات، والإبداعات، والمخترعات، في توعية العامة والخاصة، بضرورة هذا التجديد، ووجوب تنشيطه وإنجاحه، والمادة الخام لذلك كله هي النصوص الشرعية، فالقرآن الكريم لا تنقضي عجائبه، والسنة النبوية تتجدد ولا تتبدد، وما هما إلا كالبحر كلما غصت فيه عمقاً زادك درراً وجواهرَ، لم ينلها إلا أهل الغوص والبحث.

من هنا وُلِدَتْ فكرة هذا البحث المتواضع، فحين أَنْعمتُ النظر في أثر الشرح الحديثي المعاصر في حياة المسلمين اليوم، خلصت إلى أنه مع تعدد وسائله وجماليتها ما زال المسلمون عطاشا لفهم الحديث الشريف، فوددت دعوة أهل الذكر إلى تجديد فهم

السنة وتفهيمها، من خلال تذكيرهم باستعمال النبي ﷺ لأساليب ووسائل في دعوته، لم تعهدها العرب من قبله، ليشير ﷺ إلى ضرورة التجديد في كل عصر.

لذلك عمدت إلى جمع بعض هذه الأساليب، ودراستها واستنباطها، علَّنَا نعيد النظر في الوسائل والأساليب التي نتبعها في خطابنا للمسلمين اليوم، فخرج البحث موسوماً بـ:

الهدي النبوي في تجديد الطرق الدعوية

وهو نقطة إرشاد نحو تحديث الأسلوب الخطابي لدعاة المسلمين اليوم.

لأنقل فيه رسائل ثلاثاً إلى المسلمين عامةً، والدعاة منهم خاصةً:

فالبحث يمثل تأصيلاً شرعياً لاستحداث الأساليب والوسائل – غير المحرمة، طبعاً – في خدمة الدعوة ونشر الدين، وكذلك إن النبي ﷺ حين اقتضته المصلحة لاستعمال هذه الأساليب لم يتردد في استعمالها، فعلى الدعاة أن لا يترددوا في استعمال الأساليب التي تقتضيها المصلحة اليوم، كما أنه يمكن لنا أن نسرع في توظيف ما وظفه النبي ﷺ قبلنا من أساليب ووسائل في هداية الناس، ونماذج ذلك في المطالب.

ولقد جاءت خطة البحث متضمنةً مبحثين، على النحو الآتي:

١. المبحث الأول: الأساليب النظرية، وفيه خمسة مطالب:

المطلب الأول: استعماله ﷺ للألفاظ الغريبة

المطلب الثاني: اطلاقه ﷺ للمبشرات في تثبيت الأفئدة

المطلب الثالث: توظيفه ﷺ للرؤيا في بيان العواقب

المطلب الرابع: توظيفه ﷺ ليوم القيامة وسيلةً من وسائل الجزاء

المطلب الخامس: استعماله ﷺ لأسلوب المدح والذم في الإرشاد والتقويم

٢. المبحث الثاني: الوسائل العملية، وفيه أربعة مطالب:

المطلب الأول: ممارسته ﷺ للرسم وسيلةً توضيحية وتعليمية

المطلب الثاني: ممارسته ﷺ للرياضة لخدمة أهداف الدين

المطلب الثالث: توظيفه ﷺ لبعض المشاهد وسيلةً للتذكير والتحذير

المطلب الرابع: توظيفه ﷺ بضرب المثل وسيلةً تصويريةً تقريبيةً

ثم ختمته بخاتمة مبينة لأهم النتائج واللطائف.

هـذا، وارتجي المولى قبولَه، ونفعه، وتوفيقه...

المبحث الأول:
الأساليب النظرية

المطلب الأول:

استعماله ﷺ للألفاظ الغريبة في معالجة القضايا الكبيرة

ويشتمل المطلب على نموذجين لذلك:

- الأول: ردغة الخبال: حيث عالج النبي ﷺ بهذا الإسلوب ثلاث قضايا خطيرة، وهي:

- اتهام المؤمن بالباطل: فعن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال: ((وَمَنْ قَالَ فِي مُؤْمِنٍ مَا لَيْسَ فِيهِ أَسْكَنَهُ اللَّهُ رَدْغَةَ الْخَبَالِ حَتَّى يَخْرُجَ مِمَّا قَالَ))[1].

- وشرب الخمر: عَنْ جَابِرٍ ؛ أَنَّ رَجُلاً قَدِمَ مِنْ جَيْشَانَ، وَجَيْشَانُ مِنَ الْيَمَنِ، فَسَأَلَ النَّبِيَّ ﷺ عَنْ شَرَابٍ يَشْرَبُونَهُ بِأَرْضِهِمْ، مِنَ الذُّرَةِ، يُقَالُ لَهُ: الْمِزْرُ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: ((أَوَ مُسْكِرٌ هُوَ؟)) قَالَ: نَعَمْ، قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: ((كُلُّ مُسْكِرٍ حَرَامٌ، إِنَّ عَلَى اللهِ عَزَّ وَجَلَّ عَهْدًا لِمَنْ يَشْرَبُ الْمُسْكِرَ أَنْ يَسْقِيَهُ مِنْ طِينَةِ الْخَبَالِ))، قَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ، وَمَا طِينَةُ الْخَبَالِ؟ قَالَ: ((عَرَقُ أَهْلِ النَّارِ، أَوْ عُصَارَةُ أَهْلِ النَّارِ))[2].

---

(١) أخرجه أبو داود (سنن أبي داود - سليمان بن الأشعث السجستاني - ٢٧٥ هـ - تحقيق: محمد سعيد اللحام - دار الفكر - بيروت - ١٤١٠ هـ - الطبعة الأولى)، كتاب: الأقضية، باب: فيمن يعين على خصومة من غير أن يعلم أمرها: ٢/ ٣٢٩، رقم (٣٥٩٧). واللفظ له. وأحمد (مسند الإمام أحمد - الإمام أحمد بن حنبل - ٢٤١ هـ - تعليق: شعيب الأرناؤوطي - المكتبة الميمنية - مصر)، مسند المكثرين من الصحابة، مسند عبد الله بن عمر رضي الله عنهما: ٢/ ٨٢، رقم (٥٥٤٤). والحديث صحيح. [ينظر: الترغيب والترهيب، عبد العظيم بن عبد القوي المنذري، تحقيق: إبراهيم شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٧هـ: ٣/ ١٣٧].

(٢) أخرجه مسلم (صحيح مسلم - مسلم بن الحجاج النيسابوري - ٢٦١ هـ - دار الفكر - بيروت)، كتاب: الأشربة، باب: بيان أن كل مسكر خمر وأن كل خمر حرام: ٣/ ١٥٨٧، رقم (٢٠٠٢)،

- والتكبر: فعن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ أن رسول الله ﷺ قال: ((يُحْشَرُ الْمُتَكَبِّرُونَ يَوْمَ القِيَامَةِ أَمْثَالَ الذَّرِّ فِي صُوَرِ الرِّجَالِ يَغْشَاهُمُ الذُّلُّ مِنْ كُلِّ مَكَانٍ، فَيُسَاقُونَ إِلَى سِجْنٍ فِي جَهَنَّمَ، يُسَمَّى بُولَسَ، تَعْلُوهُمْ نَارُ الأَنْيَارِ، يُسْقَوْنَ مِنْ عُصَارَةِ أَهْلِ النَّارِ طِينَةَ الخَبَالِ))[1].

غريب الحديث:

- رَدْغَةُ الخَبَال: ردغة بفتح الراء وسكون الدال المهملة وفتحها هي طين ووحل كثير، والخبال في الأصل الفساد، ويكون في الأفعال والأبدان والعقول[2]، وردغة الخبال

والنسائي (سنن النسائي - احمد بن شعيب النسائي - ٣٠٣ هـ - دار الفكر - بيروت - الطبعة الأولى)، كتاب: الأشربة، باب: ذكر ما أعد الله عز وجل لشارب الخمر من الذل والهوان وأليم العذاب: ٨/ ٣٢٧، رقم (٥٧٠٩)، وأحمد، مسند المكثرين من الصحابة، مسند جابر بن عبد الله رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: ٣/ ٣٦٠، رقم (١٤٩٣٢).

(١) رواه الترمذي (سنن الترمذي - محمد بن عيسى الترمذي - ٢٧٩ هـ - تحقيق وتخريج: يوسف الحاج احمد - مكتبة ابن حجر - دمشق - ٢٠٠٤م - الطبعة الأولى)، كتاب: صفة القيامة والرقائق والورع عن رسول الله ﷺ، باب: منه: ٤/ ٢٣٦ رقم (٢٤٩٢)، وقال: (حديث حسن صحيح)، وأحمد، مسند المكثرين من الصحابة، مسند عبد الله بن عمرو بن العاص رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: ٢/ ١٧٩ رقم (٦٦٧٧)، والبخاري، (الأدب المفرد - محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة البخاري، أبو عبد الله - ت ٢٥٦هـ - تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي - دار البشائر الإسلامية - بيروت - الطبعة الثالثة، ١٤٠٩ هـ)، كتاب: المريض، باب: الكبر: ١٩٦ رقم (٥٥٧). و(إسناده حسن)، [ينظر: الترغيب والترهيب - أبو محمد عبد العظيم بن عبد القوي المنذري - ت ٦٥٦ هـ - تحقيق: يوسف الحاج احمد - مكتبة ابن حجر - دمشق - ١٤٢٤ هـ - الطبعة الأولى:٦٩٥].

(٢) ينظر: النهاية في غريب الحديث والأثر - أبو السعادات المبارك بن محمد الجزري - ت ٦٠٦ هـ - تحقيق: طاهر احمد الزاوي ومحمود محمد الطناحي - المكتبة العلمية - بيروت - سنة الطبع ١٩٧٩ م:٢/ ٢١٥، و الفائق في غريب الحديث - محمود بن عمر الزمخشري - ت ٥٣٨ هـ - تحقيق: علي محمد البجاوي ومحمد أبو الفضل إبراهيم - دار المعرفة - لبنان - الطبعة الثانية:١/ ٣٥٤.

مفسرة بالحديث عصارة أهل النار أو عرقهم كما جاء مفسرا في صحيح مسلم[1]، أو طينة النار كما في حديث المتكبر.

المعنى العام:

تبين هذه الأحاديث الثلاثة أن النبي ﷺ قد استعمل أسلوبا حديثا وطريقة جديدة لمعالجة قضايا بالغة الخطورة، وهو استعمال الألفاظ الغريبة، التي تدفع السامعين إلى مراجعة النبي ﷺ في استبيانها، مما يجعلها أكثر وقعا في نفوسهم، وهي إشارة أيضاً إلى لفت نظر المستمعين إلى خطورة الأمر وأهميته، وهذه القضايا ليس من السهل أبدا استئصالها من المجتمع العربي آنذاك، فالخمر شراب حاضر في كل مجلس، والتكبر تفاخرهم فيما بينهم، والطعن بالغير من فواكه حديثهم، لذلك تجد النبي ﷺ قد استعمل في محاربتها هذا الأسلوب غير المعهود للعرب حين ذاك.

فالحديث الأول: ((**من قال في مؤمن ما ليس فيه**)) أي اتهمه والصق فيه ما هو منه براء، ((حبس)) أي عذب ((في ردغة الخبال)) أي في عصارة أهل النار أو عرقهم، ((حتى يخرج مما قال)).

قال القاضي عياض[2]: (وخروجه مما قال: أن يتوب عنه ويستحل من المقول فيه).

---

(١) رواه مسلم: ٣/ ١٥٨٧.

(٢) ينظر: عون المعبود شرح سنن أبي داود- محمد شمس الحق العظيم آبادي - ت ١٣٢٩ هـ - دار الكتب العلمية - بيروت - ١٤١٥ هـ - الطبعة الثانية: ١٠/ ٥. والقاضي: هو الإمام العلامة الحافظ شيخ الإسلام القاضي أبو الفضل عياض بن موسى بن عياض بن عمرو الأندلسي المالكي، هو إمام الحديث في وقته، وأعرف الناس بعلومه، قد جمع وألف، وسارت بتصانيفه الركبان، له كتاب ترتيب المدارك وتقريب المسالك في ذكر فقهاء مذهب مالك في مجلدات، وكتاب جامع التاريخ الذي جمع فيه أخبار ملوك الأندلس والمغرب، وكتاب مشارق الأنوار في اقتفاء صحيح الآثار الموطأ والصحيحين، وله تصانيف كثيرة، توفي سنة ٥٤٤ هـ ودفن بمراكش. [ينظر: سير أعلام النبلاء: ٢٠ / ٢١٢ - ٢١٥].

وقال الأشرف[1]: (ويجوز أن يكون المعنى أسكنه الله ردغة الخبال ما لم يخرج من إثم ما قال، فإذا خرج من إثمه، أي إذا استوفى عقوبة إثمه لم يسكنه الله ردغة الخبال، بل ينجيه الله تعالى منه ويتركه).

وقال الطيبي[2]: (حتى على ما ذهب إليه القاضي غاية فعل المغتاب فيكون في الدنيا فيجب التأويل في قوله أسكنه ردغة الخبال بسخطه وغضبه الذي هو سبب في إسكانه ردغة الخبال).

والحديث الثاني: في شارب الخمر ومحتسيها، وأن الله تعالى قد أخذ على نفسه عهداً أن يسكن شارب الخمر ومستحلها في طينة الخبال.

والحديث الثالث: في صورة المتكبرين يوم المحشر حين يُجَازَوْن من جنس عملهم، فاستصغارهم للناس وتكبرهم عليهم في الدنيا جعلهم اصغر الناس حجما وقدرا حين

---

(١) ينظر: المصدر نفسه: ١٠/ ٥. والأشرف: هو الأشرف أحمد بن القاضي الفاضل عبد الرحيم بن علي المصري، سمع من القاسم ابن عساكر والأثير بن بنان، وأقبل على طلب الحديث في كهولته إلى الغاية واجتهد وكتب العالي والنازل، وأنفق على المحدثين، وكان سريع القراءة صدرا عالما معظما، مات سنة ٦٤٣ هـ. [ينظر: سير أعلام النبلاء - أبو عبد الله محمد بن احمد الذهبي الدمشقي - ت ٧٤٨هـ - تحقيق: شعيب الأرناؤوط ومحمد نعيم العرقسوسي - مؤسسة الرسالة - بيروت - ١٤١٣ هـ - الطبعة التاسعة: ٢٣ / ٢١١].

(٢) ينظر: عون المعبود شرح سنن أبي داود: ١٠/ ٥. والطيبي: هو الإمام الكبير شرف الدين الحسن بن محمد بن عبد الله الطيبي العلامة في المعقول والعربية والمعاني والبيان، قال ابن حجر: (كان آية في استخراج الدقائق من القرآن والسنن مقبلا على نشر العلم متواضعا، حسن المعتقد، شديد الرد على الفلاسفة)، له مصنفات مفيدة جدا، منها: الخلاصة في أصول الحديث، وشرح الكشاف، وشرح مشكاة المصباح، توفي سنة ٧٤٣ هـ. [ينظر: شذرات الذهب في أخبار من ذهب - أبو الفلاح عبد الحي بن العماد الحنبلي - ت ١٠٨٩ هـ - دار الكتب العلمية - بيروت: ٦ / ١٣٧، وكشف الظنون - مصطفي بن عبد الله القسطنطيني الرومي الحنفي - ت ١٠٦٧ هـ - دار الكتب العلمية - بيروت - ١٤١٣ هـ: ١ / ٧٢٠].

يحشرون، وهم في حضيض الذل والمهانة يومئذٍ، وتسوقهم الملائكة إلى سجن من سجون جهنم، واسمه بولس، تغشاهم النار من كل جانب، ويسقون فيه من طينة الخبال، والمعنى: أن صديد أهل النار لكثرته يصير جارياً كالأنهار[1].

الاستنباط:

- يعد استعمال الألفاظ الغريبة في فن الخطاب بمثابة صوتِ منبهٍ يطلقه النبي ﷺ ليصرف اهتمام السامعين نحو قضية الحديث، فعند إطلاقه ﷺ للفظ الغريب تجد الصحابة الكرام رضي الله عنهم، ومن حرصهم الشديد على تعلم دينهم، يُسَارِعُونَ في استبيان النبي ﷺ عن معناه، وما هو مراده ﷺ منه، فضلاً على أنه أوقع في نفس المتلقين مما يجعله أكثر رسخا في أفئدتهم.

- إن ثقته ﷺ بنجاح هذا الأسلوب دفعه إلى استعماله في قضايا خطيرة جدا، ومنتشرة كثيرا في ذلك المجتمع، حيث استعمله في القضاء على حالات القذف والتشهير بالمؤمنين، والتي تسبب أضراراً متعددة، فهي تشق عصا المسلمين، ففريق يهجو وفريق مَهْجُو، وبالتالي فهو البغضاء والحقد والحسد بعينها، ثم أن ما يقال في المؤمن قد يُصَدَّق، مما يسبب إضعافا في ثقة الناس بالمؤمنين، وهو شرخ أخر في لحمة المسلمين، وكذلك في الأذى النفسي الذي سيوجع قلب المؤمن. واستعمل النبي ﷺ هذا الأسلوب أيضا في محاربة إدمان الخمر الذي كان غازيا للكثير من الناس آنذاك، وكذلك استعماله ﷺ للفظ الغريب في تخليص الناس من مرض قلبي خطير وهو التكبر.

ولقد اثبت الواقع نجاح هذا الأسلوب النبوي الرائع في معالجة القضايا التي وُظِّفَ فيها، والأمثلة من واقع الصحابة رضي الله عنهم في ذلك كثيرة، ومنها هذه الرواية التي تشير

(١) ينظر: تحفة الأحوذي في شرح الترمذي - صفي الرحمن المباركفوري: ت ١٣٥٣ هـ - دار الكتب العلمية - بيروت - ١٤١٠ هـ - الطبعة الأولى: ٥/ ٤٨٩.

إلى امتثال الصحابة لأمر النبي ﷺ، وتواضعهم فيما بينهم، فعن المعرور بن سويد رضي الله عنه قال: رأيت أبا ذر بالربذة، وعليه برد غليظ، وعلى غلامه مثله، قال: فقال القوم: يا أبا ذر، لو كنت أخذت الذي على غلامك فجعلته مع هذا فكانت حلة، وكسوت غلامك ثوباً غيره، قال: فقال أبو ذر رضي الله عنه: إني كنت سببت رجلا، وكانت أمه أعجمية، فَعَيَّرَتْهُ بأمه، فشكاني إلى رسول الله ﷺ، فقال: ((يا أبا ذر، إنك امرؤ فيك جاهلية، إنهم إخوانكم، فضلكم الله عليهم، فمن لم يلائمكم فبيعوه، ولا تعذبوا خلق الله))[1].

وكذلك امتثالهم الجماعي يوم تحريم الخمر، فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: (قام رسول الله ﷺ، فقال: ((يا أهل المدينة، إن الله قد أنزل تحريم الخمر، فمن أدركته هذه الآية ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّمَا ٱلْخَمْرُ وَٱلْمَيْسِرُ وَٱلْأَنصَابُ وَٱلْأَزْلَٰمُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ ٱلشَّيْطَٰنِ فَٱجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٩٠﴾ ﴾[2]، وعنده منها شيء فلا يشربها، ولا يبعها))، قال: فسكبوها في طريق المدينة[3]، وكل ذلك يدل على عظمة التأثير النبوي في قلوب صحابته رضي الله عنهم، وحكمته ﷺ المتناهية في اختيار الأساليب الأنفع في كل أمر ومقام.

---

(١) رواه البخاري (الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله ﷺ وسننه وأيامه (صحيح البخاري) - محمد بن إسماعيل أبو عبدالله البخاري الجعفي - تحقيق: محمد زهير بن ناصر الناصر - دار طوق النجاة - الطبعة الأولى - ١٤٢٢هـ)، كتاب: الإيمان، باب: المعاصي من أمر الجاهلية ولا يكفر صاحبها بارتكابها إلا بالشرك: ١/ ١٥ رقم (٣٠)، ومسلم، كتاب: الأيمان، باب: إطعام المملوك مما يأكل وإلباسه مما يلبس ولا يكلفه ما يغلبه: ٣/ ١٢٨٢ رقم (٤٠)، وأبو داود، كتاب: الأدب، باب: في حق المملوك: ٢/ ٧٦١ رقم (٥١٥٧)، واللفظ له.

(٢) سورة المائدة: ٩٠.

(٣) رواه الحاكم (المستدرك على الصحيحين - محمد بن عبد الله أبو عبد الله الحاكم النيسابوري - ت ٤٠٥ هـ - تحقيق: مصطفي عبد القادر عطا - دار الكتب العلمية - بيروت - ١٩٩٠ م - الطبعة الأولى): ٢/ ٣٠٦.

الثاني: اتقوا اللاعِنَيْن: فعن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قال: قال رسول الله ﷺ: ((اتَّقُوا اللَّاعِنَيْنِ)، قَالُوا: وَمَا اللَّاعِنَانِ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: (الَّذِي يَتَخَلَّى فِي طَرِيقِ النَّاسِ أَوْ ظِلِّهِمْ))[1].

المعنى العام:

في هذا الحديث الشريف يستعمل النبي ﷺ أسلوب الألفاظ الغريبة لصرف اكبر قدر من الاهتمام نحو الخطاب، فحين قال ﷺ: ((اتقوا اللاعنين)) ترى الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ يتسارعون في الاستفهام عن هذا اللفظ الغريب، وهو واضح من قول الراوي (قالوا: بصيغة الجمع، وما اللاعنان؟) قال ﷺ: ((الذي يتخلى في طريق الناس)) أي يتغوط أو يبول في موضع يمر به الناس، والمراد بالطريق الطريق المسلوك لا المهجور الذي لا يسلك إلا نادرا، ((أو في ظلهم)) أي مستظل الناس، الذي اتخذوه مستراحا لهم، وليس كل ظل يحرم القعود للحاجة تحته، فقد قعد النبي ﷺ لحاجته، تحت حائش من النخل، وللحائش لا محالة ظل[2].

قال الخطابي[3]: (وقوله ﷺ: ((اتقوا اللاعنين)) أي اتقوا الأمرين الجالبين للعن،

---

(١) رواه مسلم، كتاب: الطهارة، باب: النهي عن التخلي في الطرق والظلال: ١ / ٢٢٦ رقم (٢٦٩)، بلفظ ((اتقوا اللَّعَّانَيْنِ))، وأبو داود، كتاب: الطهارة، باب: المواضع التي نهى عن البول فيها: ١/ ٥٣ رقم (٢٥).

(٢) ينظر: المنهاج في شرح صحيح مسلم بن الحجاج – أبو زكريا النووي – ت ٦٣١ هـ – دار الكتاب العربي – بيروت – ١٤٠٧ هـ – الطبعة الثانية: ٣/ ١٦١، وعون المعبود: ١/ ٣٠، و شرح سنن ابن ماجه – عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي – ٩١١ هـ – قديمي كتب خانة – كراتشي: ١/ ٢٨.

(٣) ينظر: شرح مسلم للنووي: ٣/ ١٦١، وعون المعبود: ١/ ٣٠، و شرح سنن ابن ماجه للسيوطي: ١/ ٢٨. والخطابي: هو الإمام العلامة المفيد المحدث الرحال أبو سليمان حمد بن محمد ابن إبراهيم بن خطاب البستي، صاحب التصانيف، صنف شرح البخاري ومعالم السنن وغريب الحديث وشرح الأسماء الحسنى والعزلة وغير ذلك، وكان ثقة متثبتا من أوعية العلم، مات ببست في ربيع الآخر سنة

الحاملين للناس إليه، وذلك أن من فعلهما لُعِنْ وشُتِم، يعني عادة الناس لعنه، فلما صارا سببا لذلك أضيف إليهما الفعل، فكانا كأنهما اللاعنان، وقد يكون اللاعن أيضا بمعنى الملعون، فاعل بمعنى مفعول، فعلى هذا يكون التقدير اتقوا الأمرين الملعون فاعلهما). والحديث يدل على تحريم التخلي في طريق الناس أو في ظلهم لما فيه من إيذاء المسلمين بتنجيس من يمر به واستقذاره.

الاستنباط:

- يعلم النبي ﷺ أمته درساً بليغاً من دروس التربية، تمثل في علاج مشكلة كانت السبب في إيذاء الكثيرين من الناس، ولولا انتشارها لما عالجها النبي ﷺ بهذا الأسلوب الجديد بالنسبة لهم، فقد استعمل ﷺ اللفظ الغريب، واختاره من مشتقات لفظة لَعَنَ، ليتحقق هدفان الأول جذب مسامعهم نحو لفظ غريب لم يسمعوه من قبل، مما سيدفعهم إلى استبيانه، والثاني في مادة أحرفه، وهي اللعن، والتي تشير إلى خطورته، وبذلك سيحرص السامعون كثيرا على السؤال عنه، ومعرفة تفسيره فيكون أحفظ في صدورهم.

المطلب الثاني:

إطلاقه ﷺ للمبشرات في تثبيت الأفئدة

حيث استعمله النبي ﷺ في معالجة الكثير من القضايا الاجتماعية، وقد اشتمل المطلب على نموذج لذلك، وهو التبشير بالأمان والنصر والغنى: فقد استعمله النبي ﷺ في تبشير الصحابة الكرام رضي الله عنهم، وتطمين أفئدتهم بالنصر والتمكين: وذلك في حديثه لعدي بن حاتم رضي الله عنه عن انتشار الأمان وفتح كنوز كسرى وفيض المال، فعَنْ عَدِيِّ بْنِ

٣٨٨هـ). [ينظر: طبقات الحفاظ - عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي - ٩١١ هـ - دار الفكر - بيروت - ١٤٠٣ هـ - الطبعة الأولى: ١ / ٤٠٤، والتقييد - أبو بكر محمد بن عبد الغني البغدادي - ت ٦٢٩ هـ - تحقيق: كمال يوسف الحوت - دار الفكر - بيروت - ١٤٠٨ هـ - الطبعة الأولى: ١ / ٢٥٤].

حَاتِم قَالَ بَيْنَا أَنَا عِنْدَ النَّبِي ﷺ إِذْ أَتَاهُ رَجُلٌ فَشَكَا إِلَيْهِ الْفَاقَةَ ، ثُمَّ أَتَاهُ آخَرُ ، فَشَكَا قَطْعَ السَّبِيلِ . فَقَالَ: ((يَا عَدِيُّ هَلْ رَأَيْتَ الْحِيرَةَ)). قُلْتُ: لَمْ أَرَهَا، وَقَدْ أُنْبِئْتُ عَنْهَا . قَالَ: ((فَإِنْ طَالَتْ بِكَ حَيَاةٌ لَتَرَيَنَّ الظَّعِينَةَ تَرْتَحِلُ مِنَ الْحِيرَةِ ، حَتَّى تَطُوفَ بِالْكَعْبَةِ ، لاَ تَخَافُ أَحَدًا إِلاَّ اللَّهَ))، - قُلْتُ فِيمَا بَيْنِي وَبَيْنَ نَفْسِي فَأَيْنَ دُعَّارُ طَيِّئٍ الَّذِينَ قَدْ سَعَّرُوا الْبِلاَدَ - ((وَلَئِنْ طَالَتْ بِكَ حَيَاةٌ لَتُفْتَحَنَّ كُنُوزُ كِسْرَى)). قُلْتُ: كِسْرَى بْنِ هُرْمُزَ؟ قَالَ: ((كِسْرَى بْنِ هُرْمُزَ ، وَلَئِنْ طَالَتْ بِكَ حَيَاةٌ ، لَتَرَيَنَّ الرَّجُلَ يُخْرِجُ مِلْءَ كَفِّهِ مِنْ ذَهَبٍ أَوْ فِضَّةٍ، يَطْلُبُ مَنْ يَقْبَلُهُ مِنْهُ ، فَلاَ يَجِدُ أَحَدًا يَقْبَلُهُ مِنْهُ ، وَلَيَلْقَيَنَّ اللَّهَ أَحَدُكُمْ يَوْمَ يَلْقَاهُ ، وَلَيْسَ بَيْنَهُ وَبَيْنَهُ تُرْجُمَانٌ يُتَرْجِمُ لَهُ . فَيَقُولَنَّ: أَلَمْ أَبْعَثْ إِلَيْكَ رَسُولاً فَيُبَلِّغَكَ؟ فَيَقُولُ: بَلَى . فَيَقُولُ: أَلَمْ أُعْطِكَ مَالاً وَأُفْضِلْ عَلَيْكَ؟ فَيَقُولُ: بَلَى . فَيَنْظُرُ عَنْ يَمِينِهِ فَلاَ يَرَى إِلاَّ جَهَنَّمَ ، وَيَنْظُرُ عَنْ يَسَارِهِ فَلاَ يَرَى إِلاَّ جَهَنَّمَ)). قَالَ عَدِيٌّ: سَمِعْتُ النَّبِي ﷺ يَقُولُ: ((اتَّقُوا النَّارَ وَلَوْ بِشِقَّةِ تَمْرَةٍ ، فَمَنْ لَمْ يَجِدْ شِقَّةَ تَمْرَةٍ فَبِكَلِمَةٍ طَيِّبَةٍ)). قَالَ عَدِيٌّ: فَرَأَيْتُ الظَّعِينَةَ تَرْتَحِلُ مِنَ الْحِيرَةِ حَتَّى تَطُوفَ بِالْكَعْبَةِ، لاَ تَخَافُ إِلاَّ اللَّهَ ، وَكُنْتُ فِيمَنِ افْتَتَحَ كُنُوزَ كِسْرَى بْنِ هُرْمُزَ ، وَلَئِنْ طَالَتْ بِكُمْ حَيَاةٌ لَتَرَوُنَّ مَا قَالَ النَّبِي أَبُو الْقَاسِمِ ﷺ: ((يُخْرِجُ مِلْءَ كَفِّهِ))[1].

غريب الحديث:

- الحِيْرَة: مدينة كانت على ثلاثة أميال من الكوفة، على موضع يقال له: النجف، زعموا أن بحر فارس كان يتصل به، وقال الزجاجي: (كان أول من نزل بها مالك بن زهير بن عمرو بن تغلب بن حلوان بن عمران بن الحاف بن قضاعة، فلما نزلها جعلها حِيَرًا[2]،

(١) رواه البخاري، كتاب: المناقب، باب: علامات النبوة في الإسلام: ٤/ ١٩٧ رقم (٣٥٩٥).

(٢) الحِيَرُ: الكثير من الأهل والمال، والمراد أنه كثّر منازلها حتى صارت مدينة. ينظر: العين- أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد الفراهيدي- ت ١٧٠ هـ- تحقيق: مهدي المخزومي وإبراهيم السامرائي - دار ومكتبة الهلال: ٣/ ٢٨٩.

فسميت الحيرة بذلك)، وكانت حينئذٍ بلد ملوك العرب الذين تحت حكم آل فارس[1].

- الظعينة: المرأة في الهودج، وهو في الأصل اسم للهودج[2].

- الدعار: جمع داعر، وهو الشاطر الخبيث المفسد، والمراد قطاع الطريق[3].

& المعنى العام:

يشخص لنا هذا الحديث الشريف صورة من صور المجتمع الإسلامي، في مرحلة من مراحل الدعـوة، وهو يعاني مشكلات تتفاقم وصعوبات تتزايد، حتى دبَّ الوجل من أثر الفقر والخوف إلى نفـوس بعض الصحابة y، مما دفعهم إلى حمل شكواهم إلى رسول الله ﷺ، فذا يشكو العوز، وذاك يشكو انعدام الأمن، والحقيقة أن النبي ﷺ في هذا الموقف، يواجه قضيةً خطيرةً، لا تكمن في الفقر وفقد الأمن، إنما تكمن في كون الخوف قد تسرب إلى قلوب بعض أصحابه y، ولذلك كان رد النبي ﷺ كله في معالجتها فقط، حينئذ استعمل النبي ﷺ أسلوبا جديدا ورائعا، وهو الاستشراف، ليبعث الأمل في قلوبهم، ويملؤها همة ويقينا، حيث استشرف أحداثا ثلاثة، كان وقوعها عند الناس في طي المستحيل، فالأول انتشار الأمن حتى إن المرأة ترتحل من الحيرة إلى مكة المكرمة لا تخشى إلا الله تعالى.

والحدث الثاني فتح كنوز كسرى، وهو أمر في غاية العجب تحقُقُه، وكسرى عَلَمٌ على من مَلَكَ الفرس، لكن كانت المقالة في زمن كسرى بن هرمز، ولذلك استفهم عدي بن

(١) ينظر: معجم البلدان - أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الحموي - ت ٦٢٦ هـ - دار الفكر - بيروت:٢/ ٣٢٩.

(٢) ينظر: النهاية في غريب الحديث والأثر:٣/ ١٧٥، والمغرب في ترتيب المعرب - أبو الفتح ناصر الدين بن عبد السيد بن المطرز - ت ٦١٠ هـ - تحقيق: محمود فاخوري وعبد الحميد مختار - مكتبة أسامة بن زيد - حلب - ١٩٧٩م - الطبعة الأولى: ٢/ ٣٣.

(٣) ينظر: النهاية في غريب الحديث والأثر: ٢/ ١١٩.

حاتم رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عنه، وإنما قال ذلك لعظمة كسرى في نفسه إذ ذاك[1].

والحدث الثالث فيض المال، حتى يطوف الرجل بملء كفه ذهبا، فلا يجد أحدا يقبله منه، أي لعدم الفقراء في ذلك الزمان[2].

الاستنباط:

١. هذا الأسلوب وإن كان خاصاً به ﷺ لأنه من أعلام النبوة، إلا أنَّ الداعية يستطيع من خلال الاستشرافات النبوية تنشيط دعوته بها لإرشاد الناس إلى طريق الحق.

٢. وسبب الحديث أن قريشا كانوا يأتون الشام والعراق تجارا، فلما أسلموا خافوا انقطاع سفرهم إليها، لدخولهم في الإسلام، فقال النبي ﷺ ذلك لهم، تطبيبا لقلوبهم، وتبشيرا لهم، بأن ملكهما سيزول عن الإقليمين المذكورين[3].

٣. تحديد الاستشراف في هذه الأمور الثلاثة لمناسبتها حال الشاكين (السائلين)، فقد شكوا الفاقة، وانعدام الأمن، ولسان حالهم الضعف، فجاءت الاستشرافات مناسبة تماما لها، فارتحال الظعينة من الحيرة إلى مكة المكرمة جواب لمن شكا قطع السبيل، وفتح كنوز كسرى جواب للسان حالهم وهو الضعف، وفيض المال جواب لمن شكا الفاقة.

المطلب الثالث:

توظيفه ﷺ للرؤيا في بيان العواقب

وهي أسلوب مستحدث أيضاً استعمله النبي ﷺ في معالجة قضايا بالغة الأهمية، وقد اشتمل المطلب على نموذج واحد استوعب عدة قضايا، أطلقنا عليه دعائم المجتمع،

---

(١) ينظر: فتح الباري شرح صحيح البخاري- ابن حجر العسقلاني - ت ٨٥٢ هـ - دار المعرفة للطباعة والنشر - بيروت - الطبعة الثانية:٦/ ٦١٣.

(٢) ينظر: المصدر نفسه:٦/ ٦١٣.

(٣) ينظر: فتح الباري: ٦/ ٦٢٦-٦٢٧ .

ويتمثل في رؤيا طويلة رآها النبي ﷺ، فعن سمرة بن جندب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مِمَّا يُكْثِرُ أَنْ يَقُولَ لأَصْحَابِهِ: ((هَلْ رَأَى أَحَدٌ مِنْكُمْ مِنْ رُؤْيَا؟)). قَالَ: فيقُصُّ عَلَيْهِ مَنْ شَاءَ اللَّهُ أَنْ يَقُصَّ، وَإِنَّهُ قَالَ ذَاتَ غَدَاةٍ: ((إِنَّهُ أَتَانِي اللَّيْلَةَ آتِيَانِ، وَإِنَّهُمَا ابْتَعَثَانِي، وَإِنَّهُمَا قَالاَ لِي: انْطَلِقْ. وَإِنِّي انْطَلَقْتُ مَعَهُمَا، وَإِنَّا أَتَيْنَا عَلَى رَجُلٍ مُضْطَجِعٍ، وَإِذَا آخَرُ قَائِمٌ عَلَيْهِ بِصَخْرَةٍ، وَإِذَا هُوَ يَهْوِي بِالصَّخْرَةِ لِرَأْسِهِ، فيثْلَغُ رَأْسَهُ فيتَهَدْهَدُ الْحَجَرُ هَا هُنَا، فيتْبَعُ الْحَجَرَ فيأْخُذُهُ، فَلاَ يَرْجِعُ إِلَيْهِ حَتَّى يَصِحَّ رَأْسُهُ كَمَا كَانَ، ثُمَّ يَعُودُ عَلَيْهِ، فيفْعَلُ بِهِ مِثْلَ مَا فَعَلَ الْمَرَّةَ الأُولَى. قَالَ: قُلْتُ: لَهُمَا سُبْحَانَ اللَّهِ مَا هَذَانِ؟ قَالَ: قَالاَ لِي: انْطَلِقْ، - قَالَ - فَانْطَلَقْنَا فَأَتَيْنَا عَلَى رَجُلٍ مُسْتَلْقٍ لِقَفَاهُ، وَإِذَا آخَرُ قَائِمٌ عَلَيْهِ بِكَلُّوبٍ مِنْ حَدِيدٍ، وَإِذَا هُوَ يَأْتِي أَحَدَ شِقَّيْ وَجْهِهِ، فيشَرْشِرُ شِدْقَهُ إِلَى قَفَاهُ، وَمَنْخِرَهُ إِلَى قَفَاهُ وَعَيْنَهُ إِلَى قَفَاهُ - قَالَ: وَرُبَّمَا قَالَ أَبُو رَجَاءٍ: فيشُقُّ - قَالَ: ثُمَّ يَتَحَوَّلُ إِلَى الْجَانِبِ الآخَرِ، فيفْعَلُ بِهِ مِثْلَ مَا فَعَلَ بِالْجَانِبِ الأَوَّلِ، فَمَا يَفْرُغُ مِنْ ذَلِكَ الْجَانِبِ حَتَّى يَصِحَّ ذَلِكَ الْجَانِبُ كَمَا كَانَ، ثُمَّ يَعُودُ عَلَيْهِ فيفْعَلُ مِثْلَ مَا فَعَلَ الْمَرَّةَ الأُولَى. قَالَ: قُلْتُ: سُبْحَانَ اللَّهِ، مَا هَذَانِ؟ قَالَ: قَالاَ لِي: انْطَلِقْ. فَانْطَلَقْنَا فَأَتَيْنَا عَلَى مِثْلِ التَّنُّورِ - قَالَ: فَأَحْسِبُ أَنَّهُ كَانَ يَقُولُ:- فَإِذَا فِيهِ لَغَطٌ وَأَصْوَاتٌ، - قَالَ - فَاطَّلَعْنَا فِيهِ، فَإِذَا فِيهِ رِجَالٌ وَنِسَاءٌ عُرَاةٌ، وَإِذَا هُمْ يَأْتِيهِمْ لَهَبٌ مِنْ أَسْفَلَ مِنْهُمْ، فَإِذَا أَتَاهُمْ ذَلِكَ اللَّهَبُ ضَوْضَوْا - قَالَ - قُلْتُ لَهُمَا: مَا هَؤُلاَءِ؟ قَالَ: قَالاَ لِي: انْطَلِقْ، انْطَلِقْ. قَالَ: فَانْطَلَقْنَا، فَأَتَيْنَا عَلَى نَهَرٍ - حَسِبْتُ أَنَّهُ كَانَ يَقُولُ - أَحْمَرَ مِثْلِ الدَّمِ، وَإِذَا فِي النَّهَرِ رَجُلٌ سَابِحٌ يَسْبَحُ، وَإِذَا عَلَى شَطِّ النَّهَرِ رَجُلٌ، قَدْ جَمَعَ عِنْدَهُ حِجَارَةً كَثِيرَةً، وَإِذَا ذَلِكَ السَّابِحُ يَسْبَحُ مَا يَسْبَحُ، ثُمَّ يَأْتِي ذَلِكَ الذي قَدْ جَمَعَ عِنْدَهُ الْحِجَارَةَ، فيفْغَرُ لَهُ فَاهُ، فيلْقِمُهُ حَجَرًا فينْطَلِقُ يَسْبَحُ، ثُمَّ يَرْجِعُ إِلَيْهِ، كُلَّمَا رَجَعَ إِلَيْهِ فَغَرَ لَهُ فَاهُ فَأَلْقَمَهُ حَجَرًا - قَالَ - قُلْتُ لَهُمَا: مَا هَذَانِ؟ قَالَ: قَالاَ لِي: انْطَلِقِ، انْطَلِقْ. قَالَ: فَانْطَلَقْنَا فَأَتَيْنَا عَلَى رَجُلٍ كَرِيهِ الْمَرْآةِ كَأَكْرَهِ مَا أَنْتَ رَاءٍ رَجُلاً مَرْآةً، وَإِذَا عِنْدَهُ نَارٌ يَحُشُّهَا وَيَسْعَى حَوْلَهَا - قَالَ - قُلْتُ

لَهُمَا: مَا هَذَا؟ قَالَ: قَالاَ لِي: انْطَلِقِ، انْطَلِقْ. فَانْطَلَقْنَا فَأَتَيْنَا عَلَى رَوْضَةٍ مُعْتَمَّةٍ، فيهَا مِنْ كُلِّ نَوْرِ الرَّبِيعِ، وَإِذَا بَيْنَ ظَهْرَيِ الرَّوْضَةِ رَجُلٌ طَوِيلٌ، لاَ أَكَادُ أَرَى رَأْسَهُ طُولاً فِي السَّمَاءِ، وَإِذَا حَوْلَ الرَّجُلِ مِنْ أَكْثَرِ وِلْدَانٍ رَأَيْتُهُمْ قَطُّ، - قَالَ - قُلْتُ لَهُمَا: مَا هَذَا؟ مَا هَؤُلاَءِ؟ قَالَ: قَالاَ لِي: انْطَلِقِ، انْطَلِقْ. - قَالَ - فَانْطَلَقْنَا، فَانْتَهَيْنَا إِلَى رَوْضَةٍ عَظِيمَةٍ، لَمْ أَرَ رَوْضَةً قَطُّ أَعْظَمَ مِنْهَا وَلاَ أَحْسَنَ. - قَالَ - قَالاَ لِي: ارْقَ فيهَا. قَالَ: فَارْتَقَيْنَا فيهَا، فَانْتَهَيْنَا إِلَى مَدِينَةٍ مَبْنِيَّةٍ بِلَبِنِ ذَهَبٍ وَلَبِنِ فِضَّةٍ، فَأَتَيْنَا بَابَ الْمَدِينَةِ، فَاسْتَفْتَحْنَا فَفُتِحَ لَنَا، فَدَخَلْنَاهَا، فَتَلَقَّانَا فيهَا رِجَالٌ، شَطْرٌ مِنْ خَلْقِهِمْ كَأَحْسَنِ مَا أَنْتَ رَاءٍ، وَشَطْرٌ كَأَقْبَحِ مَا أَنْتَ رَاءٍ - قَالَ - قَالاَ لَهُمْ: اذْهَبُوا، فَقَعُوا فِي ذَلِكَ النَّهَرِ. قَالَ: وَإِذَا نَهَرٌ مُعْتَرِضٌ، يَجْرِي كَأَنَّ مَاءَهُ الْمَحْضُ فِي الْبَيَاضِ، فَذَهَبُوا فَوَقَعُوا فيهِ، ثُمَّ رَجَعُوا إِلَيْنَا، قَدْ ذَهَبَ ذَلِكَ السُّوءُ عَنْهُمْ، فَصَارُوا فِي أَحْسَنِ صُورَةٍ - قَالَ - قَالاَ لِي: هَذِهِ جَنَّةُ عَدْنٍ، وَهَذَاكَ مَنْزِلُكَ. قَالَ: فَسَمَا بَصَرِي صُعُدًا، فَإِذَا قَصْرٌ مِثْلُ الرَّبَابَةِ الْبَيْضَاءِ، - قَالَ - قَالاَ: هَذَاكَ مَنْزِلُكَ. قَالَ: قُلْتُ لَهُمَا: بَارَكَ اللَّهُ فيكُمَا، ذَرَانِي فَأَدْخُلَهُ. قَالاَ: أَمَّا الآنَ فَلاَ وَأَنْتَ دَاخِلُهُ. قَالَ: قُلْتُ لَهُمَا: فَإِنِّي قَدْ رَأَيْتُ مُنْذُ اللَّيْلَةِ عَجَبًا، فَمَا هَذَا الذي رَأَيْتُ؟ قَالَ: قَالاَ لِي: أَمَا إِنَّا سَنُخْبِرُكَ، أَمَّا الرَّجُلُ الأَوَّلُ الذي أَتَيْتَ عَلَيْهِ يُثْلَغُ رَأْسُهُ بِالْحَجَرِ، فَإِنَّهُ الرَّجُلُ يَأْخُذُ الْقُرْآنَ فيرْفُضُهُ، وَيَنَامُ عَنِ الصَّلاَةِ الْمَكْتُوبَةِ، وَأَمَّا الرَّجُلُ الذي أَتَيْتَ عَلَيْهِ يُشَرْشَرُ شِدْقُهُ إِلَى قَفَاهُ، وَمَنْخِرُهُ إِلَى قَفَاهُ، وَعَيْنُهُ إِلَى قَفَاهُ، فَإِنَّهُ الرَّجُلُ يَغْدُو مِنْ بَيْتِهِ فيكْذِبُ الْكَذْبَةَ تَبْلُغُ الآفَاقَ، وَأَمَّا الرِّجَالُ وَالنِّسَاءُ الْعُرَاةُ الَّذِينَ فِي مِثْلِ بِنَاءِ التَّنُّورِ فَإِنَّهُمُ الزُّنَاةُ وَالزَّوَانِي. وَأَمَّا الرَّجُلُ الذي أَتَيْتَ عَلَيْهِ يَسْبَحُ فِي النَّهَرِ وَيُلْقَمُ الْحَجَرَ، فَإِنَّهُ آكِلُ الرِّبَا، وَأَمَّا الرَّجُلُ الْكَرِيهُ الْمَرْآةِ الذي عِنْدَ النَّارِ يَحُشُّهَا وَيَسْعَى حَوْلَهَا، فَإِنَّهُ مَالِكٌ خَازِنُ جَهَنَّمَ، وَأَمَّا الرَّجُلُ الطَّوِيلُ الذي فِي الرَّوْضَةِ فَإِنَّهُ إِبْرَاهِيمُ ﷺ وَأَمَّا الْوِلْدَانُ الَّذِينَ حَوْلَهُ فَكُلُّ مَوْلُودٍ مَاتَ عَلَى الْفِطْرَةِ)). قَالَ: فَقَالَ بَعْضُ الْمُسْلِمِينَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، وَأَوْلاَدُ الْمُشْرِكِينَ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: (وَأَوْلاَدُ الْمُشْرِكِينَ. وَأَمَّا الْقَوْمُ الَّذِينَ

كَانُوا شَطْرٌ مِنْهُمْ حَسَنًا وَشَطَرٌ مِنْهُمْ قَبِيحًا، فَإِنَّهُمْ قَوْمٌ خَلَطُوا عَمَلاً صَالِحًا وَآخَرَ سَيِّئًا، تَجَاوَزَ اللَّهُ عَنْهُم))[1].

& غريب الحديث:

- يهوي: أي يسقط، يقال: هوى بالفتح يهوي هوياً سقط إلى أسفل[2].
- فيثلغ: أي يشدخه، فيشدخ، والشدخ كسر الشيء الأجوف[3].
- فيتدهده الحجر: تدهده إذا انحط، والمراد انه دفعه من علو إلى أسفل[4].
- فيشرشر شدقه إلى قفاه: أي يقطعه شقا والشدق جانب الفم[5].
- ضوضوا: أي ضجوا وصاحوا، والمصدر منه الضوضاة غير مهموز[6].
- روضة معتمة: يقال أعتم البيت إذا اكتهل، ونخلة عتيمة طويلة[7].
- اللَّبِنَة: بوزن الكَلِمَة، واحدةُ اللَّبِن، وهي التي تُتَخَذ من طين، ويُبْنَى منه[8].

---

(١) رواه البخاري، كتاب: التعبير، باب: تعبير الرؤيا بعد صلاة الصبح: ٢٣/ ٢٢٧ رقم (٧٠٤٧).

(٢) ينظر: غريب الحديث - أبو سليمان حمد بن محمد بن ابراهيم الخطابي - ت ٣٨٨ هـ - تحقيق: عبد الكريم إبراهيم العزباوي - جامعة أم القرى - مكة المكرمة - ١٤٠٢ هـ: ١/ ٤١٧، ومختار الصحاح - محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الرازي- ت ٧٢١ هـ - تحقيق: محمود خاطر - مكتبة لبنان ناشرون - بيروت - ١٩٩٥م: ٢٩٣.

(٣) ينظر: غريب الحديث - أبو عبيد القاسم بن سلام الهروي - ت ٢٢٤ هـ - تحقيق: محمد عبد المعين خان - دار الكتاب العربي - بيروت - ١٣٩٦ هـ - الطبعة الأولى: ٢/ ٢٥، والنهاية في غريب الحديث والأثر:١/ ٢٢٠.

(٤) ينظر: غريب الحديث - عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي - ت ٥٩٧ هـ - تحقيق: عبد المنعم أمين قلعجي - دار الكتب العلمية - بيروت - ١٩٨٥م - الطبعة الأولى: ١/ ٣٥٥.

(٥) ينظر: غريب الحديث لابن سلام: ٢/ ٢٦، والنهاية في غريب الحديث والأثر:٢/ ٤٥٩.

(٦) ينظر: المصدران نفسهما: ٢/ ٢٦، و ٣/ ١٠٥.

(٧) ينظر: النهاية في غريب الحديث والأثر:٣/ ٣٠٢.

(٨) ينظر: المغرب: ٢/ ٢٤١، ومختار الصحاح:٢٤٦.

- صُعُدَاً: أي ارتفع كثيراً[1].

- الرَّبَابة: وهي السحابة البيضاء[2].

المعنى العام:

يطالعنا هذا الحديث الشريف بأسلوب جميل من أساليب الدعوة ترغيبا وترهيبا، لم يكن للعرب سابق علم به، وهو قريب من كل إنسان، فما يراه النائم في منامه حوله النبي ﷺ إلى وسيلة يدعو بها المسلمين، وينشر بها تعاليمه، وبين أيدينا حديث امتلأ بالحكم والعبر وعالج فيه ﷺ قضايا تكاد تكون هي أركان المجتمع وأسسه، حيث شرَع النبي ﷺ في تقويم سلوكيات الناس بتبيينه لعواقب الأمور حُسْنَاً وسُوْءً من خلال ما أراه الله في منامه ﷺ، لأن رؤيا الأنبياء وحي[3]، وهذه الرؤيا التي محط بحثنا قد اشتملت على قضايا مهمة جدا، وهي حسب ورودها، مع بيان عاقبتها في الرؤيا:

- التحذير من هجر القرآن الكريم، والنوم عن الصلاة المفروضة: وعاقبته أن المَلَكَ سيهوي بالصخرة على رأس الرافض للقرآن حتى يسحقه، فإذا ما صح رأسه عاوده المَلَكَ مرة أخرى بالصخرة، وهكذا كل مرة.

- التحذير من الكذب: وعاقبته أن المَلَكَ يأخذ بالحديدة، ويشق بها شطر وجه الكذاب، ثم يأتيه من الجانب الآخر، فيشقه، ثم يرجع إلى الجانب الأول، وقد آلتام

(١) ينظر: النهاية في غريب الحديث والأثر:٥/ ٢٢٠.

(٢) ينظر: الفائق في غريب الحديث: ١/ ١٧٢، والنهاية في غريب الحديث والأثر:٢/ ١٨١.

(٣) قال القرطبي: (كانت الرسل يأتيهم الوحي من الله تعالى أيقاظا ورقودا، وقال ابن إسحاق: (رؤيا الأنبياء وحي)، واستدل بقوله تعالى:﴿يا بني إني أرى في المنام أني أذبحك فانظر ماذا ترى﴾، سورة الصافات:١٠٢، ينظر: الجامع لأحكام القرآن - أبو عبدالله محمد بن أحمد بن فرح القرطبي - ت ٦٧١ هـ - تحقيق: احمد عبد العليم البردوني - دار الشعب - القاهرة - ١٣٧٢ هـ - الطبعة الثانية: ١٥/ ١٠٢.

فيشقه، ثم يأتي الجانب الأخر، فيفعل كما فعل، وهكذا الحال مستمرة.

- التحذير من الفاحشة: وعاقبته أن الزناة في تنور من نار تلتهب، كلما مسهم اللهب صرخوا، وهكذا هم على هذه الحال من التقلب بين ألسنة اللظى.

- التحذير من الربا: وعاقبته أن آكل الربا يسبح في نهر بين الغرق فيه، وبين ذلك المَلَكَ الواقف على حافة النهر، يلقنه الحجر كلما هم بالنجاة من النهر، وهو بين الحالتين يعذب.

- التعريف بخازن النار: وهنا عرَّف النبي ﷺ بمالك خازن جهنم، وأن منظره المخيف نوع من أنواع العذاب النفسي والحسي على أهل النار وزيادة في إذلالهم وإيذائهم.

- سيدنا إبراهيم ﷺ: وحوله المولودون على الفطرة.

- منزل النبي ﷺ في الجنة: وهو أحد منازله ﷺ، فالجنة كلها منزله ﷺ.

- الذين شطر خلقهم كأحسن ما يكون، وشطرهم الأخر كأقبح ما يكون: وهم الذين خلطوا العمل الصالح بالعمل السيء، وقد تجاوز الله عنهم.

الاستنباط:

- إن استيعاب هذه الرؤيا لهذه الجملة الكبيرة من العبر والعظات أَهَّلَهَا لان تكون محطة للتدبر والتذكر حتى قيام الساعة، وإن تحديثه ﷺ للناس بها، فيه درسان عظيمان، الأول - كما ذكرنا - في تذكير الناس بعواقب الأمور، والثاني ليرشد الدعاة إلى توظيف كل ما يمكن توظيفه في نشر هذا الدين وتعاليمه.

- إن ثمة حكمةً بليغةً في تنوع العذاب بتنوع الأصناف، وهم كما ذكرهم ابن هبيرة[1] حسب كل صنف:

- رافض القران الكريم: فإن رفض القرآن بعد حفظه، جناية عظيمة، لأنه يوهم أنه

(١) ينظر: فتح الباري:١٢/ ٤٤١-٤٤٦.

رأى فيه ما يوجب رفضه، فلما رفض أشرف الأشياء، وهو القرآن، عُوْقِبَ في أشرف أعضائه، وهو الرأس.

- الكذاب: وإنما استحق التعذيب لما ينشأ عن تلك الكذبة من المفاسد وترويج الباطل.

- الزناة: ومناسبة العري لهم، لاستحقاقهم أن يفضحوا، لأن عادتهم أن لا يستتروا في الخلوة، فعوقبوا بالهتك، والحكمة في إتيان العذاب من تحتهم، كون جنايتهم من أعضائهم السفلى.

- آكل الربا: إنما عوقب بسباحته في النهر الأحمر، وإلقامه الحجارة، لأن أصل الربا يجري في الذهب، والذهب أحمر، وأما إلقام المَلَكِ له الحَجَرَ فإنه إشارة إلى أنه لا يغني عنه شيئا، وكذلك الربا، فإن صاحبه يتخيل أن ماله يزداد، والله من ورائه مَاحِقُهُ.

- مالك خازن جهنم: إنما كان كريه الرؤية لأن في ذلك زيادة في عذاب أهل النار.

المطلب الرابع:

توظيفه ﷺ ليوم القيامة وسيلةً من وسائل الجزاء في معالجة القضايا الكبيرة

حيث عالج النبي ﷺ بالوعد بالجنة أو بالوعيد بالنار أعقد المشكلات، وقد اشتمل المطلب على نموذجين لذلك:

الأول: الإحسان إلى البنات: فعن ابن عباس رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال: ((من كانت له أنثى فلم يئدها، ولم يؤثر ولده -يعني الذكور- عليها أدخله الله الجنة))[1]، وقد

(١) رواه أبو داود، كتاب: الأدب، باب: في فضل من عال يتيماً: ٢/ ٧٥٩ رقم (٥١٤٦)، وأحمد، مسند بني هاشم، مسند عبد الله بن العباس رضي الله عنهما: والحاكم وصححه: ٤/ ١٩٦، (كلاهما عن ابن حدير، وهو غير مشهور عن ابن عباس، فإسناده ضعيف)، [ينظر: الترغيب والترهيب، المنذري،

استطاع النبي ﷺ بالوعد بالجنة أن ينهي مأساةً كبرى استمرت عشرات السنين، إذ حَوَّلَ المرء من وائد لابنته إلى محسن لها.

غريب الحديث:

- فلم يئدها: أي لم يدفنها حيةً، مِنْ وأد يئد وأداً[1].

المعنى العام:

قال القاضي عياض[2]: (كانت العرب في جاهليتهم يدفنون البنات حية)، وهذه من اكبر المشكلات التي واجهها النبي ﷺ في إصلاح المجتمع العربي آنذاك، فالأنثى كانت بمثابة العار في جبينهم، وكانوا يتكظمون غيضا وحزنا حين تولد لهم بنت، حتى صور القران الكريم حالهم ساعة ولادتها، فقال تعالى:﴿ وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِٱلْأُنثَىٰ ظَلَّ وَجْهُهُۥ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ ﴿٥٨﴾ يَتَوَٰرَىٰ مِنَ ٱلْقَوْمِ مِن سُوٓءِ مَا بُشِّرَ بِهِۦٓ ۚ أَيُمْسِكُهُۥ عَلَىٰ هُونٍ أَمْ يَدُسُّهُۥ فِى ٱلتُّرَابِ ۗ أَلَا سَآءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴿٥٩﴾ ﴾[3]، فحين يبشر بالبنت تراه كئيبا من الهم، ساكتا من شدة ما هو فيه من الحزن، يكره أن يراه الناس من سوء ما بُشِرَ به، فَإِنْ أبقاها أبقاها مهانة، لا يُوَرِّثُها، ولا يعتني بها، ويفضل أولاده الذكور عليها، وإن أماتها دفنها وهي حية[4].

ورغم ذلك تجد أن المعلم الأعظم ﷺ قد عالج هذه القضية، وقضى عليها تماما، بل جعل من البنت التي كانت توأد محطا للاحسان والرعاية، وهذا يدل على أن توظيفه ﷺ ليوم الجزاء في حل هذه المعضلة كان عين الصواب، حيث قال النبي ﷺ: ((من كانت

تحقيق: يوسف الحاج أحمد: ٦٦٩].

(١) ينظر: العين: ٨/ ٩٧، والنهاية في غريب الحديث والأثر: ٥/ ١٤٢.

(٢) ينظر: عون المعبود: ١٢/ ٣٢٢.

(٣) سورة النحل: ٥٨ - ٥٩.

(٤) ينظر: تفسير القرآن العظيم - إسماعيل بن عمر بن كثير الدمشقي - ت ٧٧٤ هـ - دار الفكر - بيروت - ١٤٠١ هـ: ٢/ ٥٧٤.

له أنثى)) أي بنت أو أخت، ((فلم يئدها)) أي لم يدفنها حية، لأن العرب كانوا يدفنون البنات أحياء من الإهانة، ((ولم يؤثر)) أي لم يختر ولده الذكر إذا كان له عليها، ولم يُفَضِلْه عليها، ((أدخله الله الجنة)) أي مع السابقين[1]، وفيه تأكيد حق البنات على حق البنين لضعفهن عن الاكتساب.

الاستنباط:

- إن توظيف يوم القيامة في مواجهة المشكلات الكبيرة لم يكن بالحل المناسب لولا أن قلوبهم مليئة بتعظيم يوم القيامة وإكباره، إذن هناك مرحلة تربوية إعدادية سبقت هذا التوظيف النبوي ليوم القيامة في حل اغلب مشاكل المجتمع آنذاك، وتتمثل هذه المرحلة في أن معظم ما كان ينزل من القران الكريم في العهد المكي هو في الحديث عن يوم القيامة، تقول السيدة عائشة[2]: (لقد نزل بمكة على محمد ﷺ وإني لجارية ألعب ﴿ بَلِ ٱلسَّاعَةُ مَوْعِدُهُمْ وَٱلسَّاعَةُ أَدْهَىٰ وَأَمَرُّ ﴿٤٦﴾ ﴾[3]، وما نزلت سورة البقرة والنساء إلا وأنا عنده)، أي إنَّ آيات الوعد والوعيد كانت تتنزل على النبي ﷺ في مكة المكرمة، وهو الشطر الأول من عهد الرسالة، لتستيقن قلوبهم وتخشع لذكر الله وما نزل من الحق، وأما آيات الأحكام والتشريعات فإنها نزلت في المدينة المنورة، وحاصل ذلك أن العهد المكي كان المرحلة التمهيدية الإعدادية للعهد المدني، ومن أجل ذلك كان توظيف يوم القيامة في معالجة القضايا فعالاً ومؤثراً إلى أقصى غايات التأثير.

= الثاني: عدم نُصْحُ الراعي للرعية: فعن معقل بن يسار رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال:

---

(١) ينظر: عون المعبود: ١٤/ ٣٨.

(٢) رواه البخاري، كتاب: فضائل القرآن، باب: تأليف القرآن: ٦/ ١٨٥ رقم (٤٩٩٣).

(٣) سورة القمر: ٤٦.

((مَا مِنْ عَبْدٍ اسْتَرْعَاهُ اللَّهُ رَعِيَّةً، فَلَمْ يَحُطْهَا بِنَصِيحَةٍ، إِلَّا لَمْ يَجِدْ رَائِحَةَ الْجَنَّةِ))[1].

غريب الحديث:

- فلم يَحُطْها: أي يكلؤها، أو يصنها[2].

المعنى العام:

يوظف النبي ﷺ في هذا الحديث الشريف يوم القيامة توظيفا مُبْهِرَاً في وضع قاعدة مطردة لكل ولي أمر على مر الأجيال والعصور، وقد استطاع ﷺ بهذا التوظيف أن يربي وُلاة الأمور ويبصرهم بواجبهم تجاه رعيتهم من زمانه ﷺ حتى قيام الساعة، فقال ﷺ: ((ما من عبد يسترعيه)) أي يفوض إليه رعايةَ رعيةٍ، بأن ينصبه إلى القيام بمصالحهم، ويعطيه زمام أمورهم، والراعي الحافظُ المؤتمنُ على ما يليه من الرعاية والحفظ، ((فلم يَحُطْها بنصحه إلا لم يجد رائحة الجنة)) فإذا لم ينصح فيما قلد، أو أهمل، فلم يقم بإقامة شرع الله وحدوده[3]، فلن يشم رائحة الجنة فضلاً عن رؤيتها والدخول فيها، وما له إلا النار مستقراً ومُقاماً. قال القاضي عياض[4]: (معناه بَـيّنٌ في التحذير مِنْ غِشِ المسلمين لمن قلده الله تعالى شيئا من أمرهم، واسترعاه عليهم، ونصبه لمصلحتهم في دينهم أو

(١) رواه البخاري، كتاب: الأحكام، باب: من استرعى رعية فلم ينصح: ٩/ ٦٤ رقم (٧١٥٠)، واللفظ له، ومسلم، كتاب: الإيمان، باب: استحقاق الوالي الغاش لرعيته النار: ١/ ١٢٥ رقم (١٤٢)، وسنن الدارمي - عبد الله بن عبد الرحمن أبو محمد الدارمي - تحقيق: فواز احمد زمرلي وخالد السبع - دار الكتاب العربي - بيروت - الطبعة الأولى - ١٤٠٧هـ: ٢/ ٤١٧ رقم (٢٧٩٦).

(٢) ينظر: القاموس المحيط - محمد بن يعقوب الفيروزآبادي - ت ٨١٧ هـ - مؤسسة الرسالة - بيروت: ١/ ٨٦٥، والمصباح المنير - احمد بن محمد بن علي المقري الفيومي - ت ٧٧٠ هـ - المكتبة العلمية - بيروت: ١/ ١٥٦.

(٣) ينظر: فيض القدير شرح الجامع الصغير- عبد الرحمن المناوي- المكتبة التجارية الكبرى- مصر- ١٣٥٦ هـ- الطبعةالأولى: ٥/ ٤٨٨.

(٤) ينظر: المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج للنووي: ٢/ ١٦٥.

دنياهم، وعدم نصحه لهم هو إما بعدم تعريفهم ما يلزمهم من دينهم، وأخذهم به، وإما بترك القيام بما يتعين عليه من حفظ شرائعهم، والذب عنها لكل متصد، أو إهمال حدودهم، أو تضييع حقوقهم، أو ترك حماية حوزتهم ومجاهدة عدوهم، أو ترك سيرة العدل فيهم، وقد نبه ﷺ على أن ذلك من الكبائر الموبقة المبعدة عن الجنة).

الاستنباط:

- قد يكون من السهل أن تصلح حال إنسان وأنت تلتقي به، لكن من الصعب جداً أن تصلح أناسا بينك وبينهم آماد ودهور، وهذه هي إحدى المهمات التي أنيطت برسول الله ﷺ حين جعله الله نبي آخر الزمان، فليس لهذه الحقبة الطويلة الممتدة من زمن النبوة الأطهر إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها إلا نبي واحد، هو خاتم النبيين ﷺ، وبالتالي فإنه ﷺ سيحتاج إلى أساليب يبلغ تأثيرها المئات من السنين، لكي تبقى أمته على هديه وسنته، ومن هذه الأساليب، توظيفه ليوم القيامة، في معالجة القضايا المصيرية كعلاقة الراعي بالرعية التي تعد من أكثر المؤثرات سلبا أو إيجابا في واقع المسلمين، لذلك كان للنبي ﷺ هذه القاعدة المهمة في تقويم سلوك الراعي وإرشاده، لكي يهنأ المسلمون بولاتهم، فيهنأ الوُلاة برائحة الجنة ونعيمها.

المطلب الخامس:

استعماله ﷺ لأسلوب المدح والذم في الإرشاد والتقويم

وهو أسلوب ناجح جدا في جعل المؤمن يزداد إيماناً، والفاسق يكف عن فسقه، وقد اشتمل على نموذجين لذلك:

الأول: أسلوب المدح لرفع الهمة: فعن سالم عن عبد الله بن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ أن رسول الله ﷺ قال: ((نِعْمَ الرَّجُلُ عَبْدُ اللَّهِ؛ لَوْ كَانَ يُصَلِّي مِنْ اللَّيْلِ، فَكَانَ بَعْدُ لَا يَنَامُ مِنْ اللَّيْلِ إِلَّا

قَلِيلاً))[1]، وقد جعل النبي ﷺ بأسلوب المدح من عبد الله رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ رجلاً قوَّاماً لله تعالى.

المعنى العام:

من جمالية الخلق النبوي الرفيع هذا الأسلوب البديع، وهو المدح بنية التشجيع على الإكثار من طاعة الله، والازدياد من أبواب الخير، فالصحابي الجليل سيدنا عبد الله بن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ كان ممن يرقد أكثر مما يقوم، فقال النبي ﷺ: ((نعم الرجل عبد الله)) وهو استهلال جميل للوصول إلى الغاية، ومقتضاه أن من كان يصلي من الليل يوصف بكونه نعم الرجل[2]، ثم عقب ﷺ بقوله: ((لو كان يصلي من الليل)) أي ولو أكثر من قيامه لليل لكان خيرا له، فأثمر هذا الأسلوب الراقي في أن يَغْدُوَ ابن عمر من القوامين لله في جوف الليل.

الاستنباط:

- يعلم النبي ﷺ أمته وبالأخص الدعاة منهم هذا الدرس البليغ في الأدب النبيل، فالمدح وإن لم يكن مستحسناً في بعض الحالات، لقوله ﷺ: ((إذا رأيتم المَدَّاحِين فاحثوا في وجوههم التراب))[3]، إلا أنه لو وُظِّفَ في بَثِّ روحِ الهمة نحو طاعة الرحمن لكان خير أسلوب، وقد نجح هذا الأسلوب في شخص عبد الله رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، حتى لم تعد تُرْوَى

(١) رواه البخاري، كتاب: التهجد، باب: فضل قيام الليل: ٢/ ٤٩ رقم (١١٢٢)، ومسلم، كتاب: الفضائل، باب: فضائل عبد الله بن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ: ٤/ ١٩٢٧ رقم (٢٤٧٩).

(٢) ينظر: فتح الباري:٣/ ٦.

(٣) رواه مسلم، كتاب: الزهد والرقائق، باب: النهي عن المدح إذا كان فيه إفراط وخيف منه فتنة على الممدوح: ٤/ ٢٢٩٧ رقم (٣٠٠٢)، وأبو داود، كتاب: الأدب، باب: في كراهية التمادح: ٢/ ٦٩٩ رقم (٤٨٠٤)، والترمذي، كتاب: الزهد عن رسول الله ﷺ، باب: ما جاء في كراهية المدحة والمداحين: ٤/ ١٧٨ رقم (٢٣٩٤)، وابن ماجه (سنن ابن ماجه - محمد بن يزيد القزويني - ٢٧٥ هـ - تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي - دار الفكر - بيروت)، كتاب: الأدب، باب: المدح: ٢/ ١٢٣٢ رقم (٣٧٤٢)، وأحمد، مسند المكثرين من الصحابة، مسند عبد الله بن عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ: ٢/ ٩٤ رقم (٥٦٨٤).

هذه الرواية إلا وهي مُعَقَّبَةٌ بقول سالم[1]: ((فكان عبد الله بعد ذلك لا ينام من الليل إلا قليلا)).

الثاني: ذم الغش: فعن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ الله ﷺ مَرَّ عَلَى صُبْرَةٍ مِنْ طَعَام، فَأَدْخَلَ يَدَهُ فيهَا، فَنَالَتْ أَصَابِعُهُ بَلَلاً، فَقَالَ: (يَا صَاحِبَ الطَّعَام، مَا هَذَا ؟)، قَالَ: أَصَابَتْهُ السَّمَاءُ، يَا رَسُولَ الله، قَالَ: (أَفَلاَ جَعَلْتَهُ فَوْقَ الطَّعَامِ حَتَّى يَرَاهُ النَّاسُ)، ثُمَّ قَالَ: (مَنْ غَشَّ فَلَيْسَ مِنَّا))[2].

غريب الحديث:

- صُبْرَة طعام: الصُبْرَة الكومة المجموعة من الطعام، سميت صبرة لإفراغ بعضها على بعض[3].

المعنى العام:

في هذا الحديث الشريف ينقلنا النبي ﷺ نقلة نوعية في فن التعامل مع الناس، وتبدأ بتجواله ﷺ في المدينة والاطلاع على سير حياة المسلمين، ومرورا بتفقده بنفسه لأقواتهم، وانتهاء بأسلوب الزجر والذم لمستحقيه، فقد مر النبي ﷺ وهو في طوافه في السوق على كومة أي مجموعة من الطعام، ثم تحرى ﷺ بنفسه هذه الكومة فأدخل يده فيها، فأصابت أصابعه الشريفة بللا، أي إن الطعام مبتل في أسفله، وأعلاه يابس، فسأل النبي ﷺ صاحبها، ((ما هذا يا صاحب الطعام؟))، فأجابه: بأن ماء المطر قد أصابته[4]، ولكن

(١) رواه مسلم، كتاب: الفضائل، باب: فضائل عبد الله بن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: ٤/ ١٩٢٧ رقم (٢٤٧٩).
(٢) رواه مسلم، كتاب: الإيمان، باب: قول النبي ﷺ: ((من غشنا فليس منا)): ١ / ٩٩ رقم (١٠٢)، والترمذي، كتاب: البيوع عن رسول الله ﷺ، باب: ما جاء في كراهية الغش في البيوع: ٥/ ١٤٣ رقم (١٢٣٦).
(٣) ينظر: النهاية في غريب الحديث والأثر: ٣/ ٩، ومختار الصحاح: ١٤٩.
(٤) ينظر: المنهاج في شرح صحيح مسلم بن الحجاج للنووي: ٢/ ١٠٩.

وضعه للطعام المبلل في أسفل الكومة دليل على نيته في خداع الناس به، لذلك قال له النبي ﷺ: ((أفلا جعلته فوق الطعام كي يراه الناس؟))، أي هلا أظهرته للناس حتى يقف المشتري على صورة الطعام، ثم أطلق النبي ﷺ هذه القاعدة الجليلة في هذا الرجل وأمثاله: ((من غش فليس مني))، قال الخطابي[1]: (معناه ليس على سيرتنا ومذهبنا، يريد أن من غش أخاه وترك مناصحته، فإنه قد ترك إتباعي والتمسك بسنتي)، وكان سفيان بن عيينة يكره قول من يفسره بـ(ليس على هدينا)، ويقول: (بئس هذا القول) يعنى بل يمسك عن تأويله، ليكون أوقع في النفوس وأبلغ في الزجر[2]، والحديث دليل على تحريم الغش وهو مجمع عليه[3].

الاستنباط:

- يعلمنا النبي ﷺ درساً جديداً من دروس التربية النبوية، وهو التعامل مع المواقف وفق ما تقتضيه مصلحة الدين، فالغضب والذم عند انتهاك الحرمات والحقوق هو الحل الأمثل لمنعه، لذلك كان العلاج الأنفع للناس المشابهين لهذا الرجل هو عزله عن الناس، وإبقاؤه وحده، ليدرك أنه في مجتمع لا يقبل به لكونه غاشا لهم، وهي طريقة جيدة في درء الفساد عن المسلمين، لأنك بمنع الغش ستنفعه هو أيضاً لأنه سيكف عن معصيةٍ كانت ستبقى فيه، لولا منعه، بالإضافة إلى انتفاع المجتمع من ذلك المنع.

(١) ينظر: عون المعبود:٩/ ٢٣١.
(٢) ينظر: المنهاج في شرح صحيح مسلم بن الحجاج للنووي: ٢/ ١٠٨.
(٣) ينظر: عون المعبود:٩/ ٢٣١.

المبحث الثاني:
الوسائل العملية

المطلب الأول: ممارسته ﷺ للرسم وسيلةً توضيحية وتعليمية:

وهو أسلوب يعد أيضا حديثا بالنسبة للعرب، حيث عرض النبي ﷺ قضايا بالغة الأهمية من خلال رسمه لها رسماً توضيحياً ليكون أقرب للفهم وأسرع للإدراك، وقد اشتمل على نموذجين لذلك:

= الأول: تحذير المسلمين من سبل الشيطان: عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: خَطَّ لَنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ خَطًّا، ثُمَّ قَالَ: (هَذَا سَبِيلُ اللَّهِ)، ثُمَّ خَطَّ خُطُوطًا عَنْ يَمِينِهِ، وَعَنْ شِمَالِهِ، ثُمَّ قَالَ: (هَذِهِ سُبُلٌ مُتَفَرِّقَةٌ، عَلَى كُلِّ سَبِيلٍ مِنْهَا شَيْطَانٌ، يَدْعُو إِلَيْهِ)، ثُمَّ قَرَأَ: ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِى مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ﴾[1][2].

المعنى العام:

يعرض لنا هذا الحديث الشريف أسلوبا تعليميا حديثا في عرضه ﷺ للقضايا المهمة حيث لم يتردد النبي ﷺ في استعمال الرسم لتعليم أمته وإرشادها، وتبصيرها بسلوك سبيل الله وتجنب سبل الشيطان ومسالكه، فقد رسم النبي ﷺ خطا مستقيما غير ذي عوج، ثم قال عنه: ((هذا سبيل الله))، أي هذا هو الطريق الأقرب والأصوب إلى مرضاة الله تعالى، ثم رسم خطوطا يمين الخط المستقيم وشماله، وكلها معوجة ومضطربة، وقال: هذه سبل الشيطان وطرقه، وعلى كل منها شيطان، يدعو الناس إلى السير فيها، ليحرفهم

---

(١) رواه ابن ماجه، كتاب: في الإيمان وفضائل الصحابة والعلم، باب: إتباع سنة رسول الله ﷺ: وأحمد، مسند المكثرين، مسند عبد الله بن مسعود رضي الله عنه: ١/ ٤٣٥ رقم (٤١٤٢)، والدارمي، المقدمة، باب: في كراهية أخذ الرأي: ١/ ٧٨ رقم (٢٠٢). وإسناده حسن.

(٢) سورة الأنعام: ١٥٣.

عن السبيل القويم، وهذه السبل هي طرق المعاصي والخطايا، فذا طريق الشرك، وذا طريق الفسق، وذا طريق الفجور، ثم استشهد النبي ﷺ بقوله تعالى: ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِى مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ ﴾، والصراط الطريق الذي هو دين الإسلام، و((مُسْتَقِيماً)) أي مستويا قويما لا اعوجاج فيه، قال الله تعالى: ﴿وَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ ﴾ أي تميل، وهذه السبل تعم اليهودية والنصرانية والمجوسية وسائر أهل الملل والبدع والضلالات من الأهواء والشذوذ في الفروع وغير ذلك من أهل التعمق في الجدل والخوض في الكلام، هذه كلها عرضة للزلل ومظنة لسوء المعتقد[1]، فعلى المسلم التمسك بطريق الله وحبله المعصوم، فعن العرباض بن سارية رضي الله عنه قال: وَعَظَنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مَوْعِظَةً ذَرَفَتْ مِنْهَا الْعُيُونُ وَوَجِلَتْ مِنْهَا الْقُلُوبُ فَقُلْنَا يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّ هَذِهِ لَمَوْعِظَةُ مُوَدِّعٍ فَمَاذَا تَعْهَدُ إِلَيْنَا قَالَ قَدْ تَرَكْتُكُمْ عَلَى الْبَيْضَاءِ لَيْلُهَا كَنَهَارِهَا لَا يَزِيغُ عَنْهَا بَعْدِي إِلَّا هَالِكٌ مَنْ يَعِشْ مِنْكُمْ فَسَيَرَى اخْتِلَافًا كَثِيرًا فَعَلَيْكُمْ بِمَا عَرَفْتُمْ مِنْ سُنَّتِي وَسُنَّةِ الْخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ الْمَهْدِيِّينَ عَضُّوا عَلَيْهَا بِالنَّوَاجِذِ))[2].

الاستنباط:

- هذه رسالة إلى الدعاة في ضرورة استعمال هذه الفنون في خدمة الدعوة، لأن الفن أمر ثنائي الاستعمال، للمرء القدرة على استعماله فيما يرضي الله أو فيما يسخطه، والرسم

---

(١) ينظر: تفسير القرطبي: ١/ ١٣٧-١٣٩.

(٢) رواه أبو داود، كتاب: السنة، باب: في لزوم السنة: ٢/ ٦١٠ رقم (٤٦٠٧)، وابن ماجه، كتاب: في الإيمان وفضائل الصحابة والعلم، باب: اتباع سنة الخلفاء الراشدين المهديين: ١/ ١٦رقم (٤٣)، واللفظ له، والترمذي، كتاب: العلم عن رسول الله ﷺ، باب: ما جاء في الأخذ بالسنة واجتناب البدع: ٤/ ٣٤١ رقم (٢٦٧٦)، وقال: (هذا حديث حسن صحيح)، وأحمد، مسند الشاميين، حديث العرباض بن سارية رضي الله عنه: ٤/ ١٢٦ رقم (١٧١٨٢)، والدارمي، المقدمة، باب: إتباع السنة: ١/ ٥٧ رقم (٩٥). والحديث صحيح.

فن من الفنون، لذا واجب استعماله في موارد الخير والدعوة.

- لا يخفي مدى تأثير الفن بكل ألوانه ومسمياته من رسوم متحركة وأفلام ومسلسلات وغيرها في حياة المسلمين اليوم، والتي صارت الموجه الأكبر والأول للكثير من الناس، حتى قيل: كان يقال سابقاً: الناس على دين ملوكها، وأما اليوم فالناس على دين إعلامها، فالإعلام اليوم من اقصر الطرق إلى قلوب الناس، وهذا الأمر يدفعنا إلى استثمار تأثر الناس الكبير به من خلال الإمساك بزمام الأمور لكل الوسائل الإعلامية، والإشراف المباشر على ما يبث فيها، وتنقيتها من الشوائب، ورفدها بما هو أنفع للناس في دينهم ودنياهم.

- حين التأمل نجد أن النبي ﷺ قد استعمل الرسم في تفسير القران الكريم وتوضيح معانيه لان النبي ﷺ عقب رسمه وشرحه لهذا الرسم قرأ قوله تعالى: ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِى مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ﴾.

= الثاني: الإنسان بين طول الأمل وقصر الأجل: عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما، قال: قَالَ خَطَّ النَّبِي - ﷺ - خَطًّا مُرَبَّعًا، وَخَطَّ خَطًّا في الْوَسَطِ خَارِجًا مِنْهُ، وَخَطَّ خُطُطًا صِغَارًا إِلَى هَذَا الذي في الْوَسَطِ، مِنْ جَانِبِهِ الذي في الْوَسَطِ وَقَالَ: ((هَذَا الإِنْسَانُ، وَهَذَا أَجَلُهُ مُحِيطٌ بِهِ - أَوْ قَدْ أَحَاطَ بِهِ - وَهَذَا الذي هُوَ خَارِجٌ أَمَلُهُ، وَهَذِهِ الْخُطُطُ الصِّغَارُ الأَعْرَاضُ، فَإِنْ أَخْطَأَهُ هَذَا نَهَشَهُ هَذَا، وَإِنْ أَخْطَأَهُ هَذَا نَهَشَهُ هَذَا))[1].

(١) رواه البخاري، كتاب: الرقاق، باب: في الأمل وطوله: ٨/ ٨٩ رقم (٦٤١٧)، واللفظ له، وابن ماجه، كتاب: الزهد، باب: الأمل والأجل: ٢/ ١٤١٤ رقم (٤٢٣١)، والترمذي، كتاب: صفة القيامة والرقائق والورع عن رسول الله ﷺ: ٤/ ٢١٦ رقم (٢٤٥٤)، وأحمد، مسند المكثرين من الصحابة، مسند عبد الله بن مسعود رضي الله عنه: ١/ ٣٨٥ رقم (٣٦٥٢)، والدارمي، كتاب: الرقاق، باب: في الأمل والأجل: ٢/ ٣٩٣ رقم (٢٧٢٩).

وعن أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: خَطَّ النبي ﷺ خطوطاً، فقال: ((هذا الأمل، وهذا أجله، فبينما هو كذلك إذ جاءه الخط الأقرب))[1].

المعنى العام:

في هذا الحديث الشريف نموذج آخر لممارسته ﷺ للرسم من أجل تعليم الناس وتقريب الصورة لهم، وفيه قضية مهمة مصيرية، وهي انشغال الإنسان بالأمل عن استعداده للأجل، ولا يدري أن أجله أقرب إليه من أمله، وبعد أن رسم النبي ﷺ الصورة التوضيحية لملخص تفكير ابن آدم، وهذه صورة ما خَطَّهُ ﷺ:

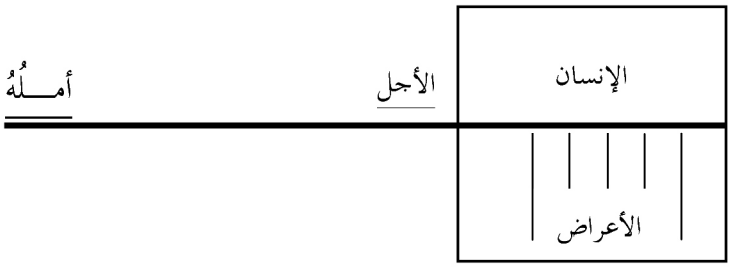

قال: ((هذا الإنسان)) فهي ليست قضية خاصة بالمسلمين، بل هي في نفس كل إنسان، و((هذا أجله)) قد أحاط به، سيمنعه من إدراك أمله، و((هذا الذي هو خارجٌ أملُه)) بعيد المنال، والأمل: رجاء ما تحبه النفس من طول عمر وزيادة غنى، ويقال: الأمل إرادة الشخص تحصيل شيء يمكن حصوله فإذا فاته تمناه[2]، وهذه الخطوط التي حول الإنسان هي الأعراض، أي الآفات والعاهات من المرض والجوع والعطش وغيره، إن نجا من هذا، ينهشه هذا، أي إن تجاوز عنه هذا العرض يلدغه عرض أخر، و((بينما هو كذلك)) قد غرق في بحر أمله أي مأموله ومرجوه الذي يظن أنه يدركه

(١) رواه البخاري، كتاب: الرقاق، باب: في الأمل وطوله: ٨/ ٨٩ رقم (٦٤١٨).
(٢) ينظر: تحفة الأحوذي: ٧/ ١٢٧-١٢٨.

قبل حلول أجله، ((إذ جاءه الخط الأقرب)) أي أجله لأن أجله أقرب إليه من أمله، والحاصل أن من لم يمت بالسبب مات بالأجل، وفي الحديث إشارة إلى الحض على قصر الأمل، والاستعداد لبغتة الأجل[1].

الاستنباط:

- هذا الحديث الشريف يشير إشارة خفية إلى إمكانية استثمار الفن في خدمة الناس جميعاً، فالرسم الذي خطه رسول الله ﷺ هو في قضية تهم بني آدم كلهم، فصراع الأمل والآجل يدور في جوف كل إنسان، وهذه هي حياته أمل وأجل وأعراض، ورسالة ديننا هي للناس أجمعين، فعلينا الاستفادة من هذا الدرس في نفع أكبر عدد من الخلق.

- توظيف الرسم وهو فن من الفنون في قضية عامة كهذه يدل على قيمته المعنوية الكبيرة، ولو ذلك لاستعمل النبي ﷺ غير هذه الوسيلة، لذا ليس من الحكمة الاستهانة بالفن وبتأثيره، ولقد فطن الغرب لقيمته فعمدوا إلى تسخير أموالهم وطاقاتهم في تصدير أفكارهم إلينا عِبْرَه، وإقناعنا بها، وتوجيهه التوجيه الذي يريدون لتحقيق مآربهم وغاياتهم.

المطلب الثاني: ممارسته ﷺ للرياضة لخدمة أهداف الدين

وقد أتينا بنموذج وهو رياضة المصارعة، فعن أبي جعفر محمد بن ركانة بن عبد يزيد عن أبيه رضي الله عنهم، ((أنه صارع رسولَ الله ﷺ فصرعه النبيُّ ﷺ))[2].

ويروي الحادثة بتفاصيلها ابن هشام في سيرته، قال: قال ابن إسحاق: حدثني أبي

---

(١) المصدر نفسه.

(٢) رواه أبو داود، كتاب: اللباس، باب: في العمائم: ٢/ ٢٥٤ رقم (٤٠٧٨)، والترمذي، كتاب: اللباس عن رسول الله ﷺ، باب: العمائم على القلانس: ٣/ ٣٠٠ رقم (١٧٨٤)، وقال: (هذا حديث حسن غريب، وإسناده ليس بالقائم)، و(إسناده ضعيف)، ينظر: الترغيب والترهيب للمنذري، تحقيق: يوسف الحاج احمد: ٥١٦.

إسحاق بن يسار قال: كَانَ رُكَانَةُ بْنُ عَبْدِ يَزِيدَ بْنِ هَاشِمِ بْنِ عَبْدِ الْمُطّلِبِ بْنِ عَبْدِ مَنَافٍ أَشَدّ قُرَيْشٍ ، فَخَلَا يَوْمًا برَسُولِ اللّهِ ﷺ فِي بَعْضِ شِعَابِ مَكَّةَ ، فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللّهِ ﷺ: (يَا رُكَانَةُ، أَلَا تَتّقِي اللّهَ وَتَقْبَلُ مَا أَدْعُوكَ إلَيْهِ ؟) قَالَ: إنّي لَوْ أَعْلَمُ أَنّ الّذِي تَقُولُ حَقّ لَاتّبَعْتُك ، فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللّهِ ﷺ: (أَفَرَأَيْت إنْ صَرَعْتُك ، أَتَعْلَمُ أَنّ مَا أَقُولُ حَقّ ؟)، قَالَ: نَعَمْ، قَالَ: (فَقُمْ حَتّي أُصَارِعَك) . قَالَ: فَقَامَ إلَيْهِ رُكَانَةُ يُصَارِعُهُ، فَلَمّا بَطَشَ بِهِ رَسُولُ اللّهِ ﷺ أَضْجَعَهُ، وَهُوَ لَا يَمْلِكُ مِنْ نَفْسِهِ شَيْئًا ، ثُمّ قَالَ: عُدْ يَا مُحَمّدُ، فَعَادَ فَصَرَعَهُ، فَقَالَ: يَا مُحَمّدُ . وَاَللّهِ إنّ هَذَا لَلْعَجَبُ أَتَصْرَعُنِي؟ فَقَالَ رَسُولُ اللّهِ ﷺ: (وَأَعْجَبُ مِنْ ذَلِكَ، إنْ شِئْت أَنْ أُرِيَكَهُ إنْ اتّقَيْتَ اللّهَ وَاتّبَعْت أَمْرِي) ، قَالَ: مَا هُوَ ؟ قَالَ: (أَدْعُو لَك هَذِهِ الشّجَرَةَ الّتِي تَرَى فَتَأْتِينِي) ، قَالَ: اُدْعُهَا ، فَدَعَاهَا ، فَأَقْبَلَتْ حَتّى وَقَفَتْ بَيْنَ يَدَيْ رَسُولِ اللّهِ ﷺ. قَالَ: فَقَالَ لَهَا : (ارْجِعِي إلَى مَكَانِك) . قَالَ: فَرَجَعَتْ إلَى مَكَانِهَا، قَالَ: فَذَهَبَ رُكَانَةُ إلَى قَوْمِهِ، فَقَالَ: يَا بَنِي عَبْدِ مَنَافٍ، سَاحِرُوا بِصَاحِبِكُمْ أَهْلَ الْأَرْضِ، فَوَاَللّهِ مَا رَأَيْت أَسْحَرَ مِنْهُ قَطّ ، ثُمّ أَخْبَرَهُمْ بِالّذِي رَأَى وَالّذِي صَنَعَ[1].

(١) السيرة النبوية – أبو محمد عبد الملك بن هشام بن أيوب الحميري – ت ٢١٨ هـ – تخريج: يوسف الحاج احمد – مكتبة ابن حجر – دمشق – ٢٠٠٥م – الطبعة الأولى، و(الحديث مرسل): ٢/ ١٠٦، ودلائل النبوة، إسماعيل بن محمد بن الفضل الاصبهاني، تحقيق: محمد محمد الحداد، دار طيبة، الرياض، الطبعة الأولى، ١٤٠٩هـ: ١٩٠، والروض الأنف في شرح السيرة النبوية لابن هشام، أبو القاسم عبد الرحمن بن عبد الله السهيلي، ٥٨١ه، تحقيق: عمر عبد السلام السلامي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٢١ه: ٣/ ٢٤٠، والسيرة النبوية، أبو الفداء إسماعيل بن كثير، ت٧٤٧ه، تحقيق: مصطفي عبد الواحد، دار المعرفة، بيروت، ١٣٩٦ه: ٢/ ٨٢.

غريب الحديث:

- صارع: الصرع الطرح على الأرض، والمفاعلة للمشاركة، والضمير المرفوع يرجع إلى ركانة، فصرعه النبي ﷺ أي غلبه في الصرع ففيه المغالبة[1].

المعنى العام:

يفتح لنا هذا النص الكريم آفاقا واسعة في سماء الدعوة إلى الله، فمن ذا يستطيع الإحاطة بهذه الشخصية العظيمة ﷺ؟، فإنه ﷺ من أجل دعوته فعل كل شيء، واستعمل كل ما يمكنه استعماله في نشر هديه، حتى بلغ به الأمر إلى ممارسة الرياضة لإقناع الناس وهدايتهم، فبعد أن دعا النبي ﷺ ركانة إلى طريق الحق، أَبَى ركانةُ، وقال: (إني لو أعلم أن الذي تقول حق لاتبعتك)، فتبين للنبي ﷺ حينئذ حاجة هذا الإنسان إلى دليل محسوس، ولذلك لم يقرأ عليه النبي ﷺ شيئا مما أنزل إليه، بل حوَّل أسلوب الدعوة إلى ما يناسب عقله، ليصرفه عن الاغترار بقوة البدن وبسطة الجسم، فدعاه إلى المصارعة، التي يتفاخر ركانةُ بصولاته فيها، فصرعه النبي ﷺ، وما دفع النبي ﷺ لذلك إلا رجاء إسلامه ورحمته به أن يدخل النار، ثم ازداد ركانةُ إيباءً، وازداد النبي ﷺ إصرارا على إنقاذه مما هو فيه، فعرض له من الدليل الحسي المشاهَد ما يجعل اكبر المعاندين أكثرهم انصياعا لهذا الرسول العظيم ﷺ، إذ دعا شجرة فجاءت تسعى إليه ﷺ على ساق بلا قدم، فتعجب ركانةُ عجباً شديداً مما رأى، حتى قيل انه أسلم عقب هذه الحادثة، وقيل أسلم عام الفتح[2].

---

(١) ينظر: مختار الصحاح: ١٥١، والمصباح المنير: ١/ ٣٣٨.

(٢) ينظر: الإصابة في تمييز الصحابة - ابن حجر العسقلاني - ت ٨٥٢ هـ - تحقيق: علي محمد البجاوي - دار الجيل - بيروت - ١٤١٢ هـ - الطبعة الأولى: ٢/ ٤٩٧.

الاستنباط:

- يعلمنا النبي ﷺ في هذا الحديث الشريف فن التخاطب كُلٌ على حسب مستواه، فحين تدعو العالم إلى الله تدعوه بالأسلوب الذي يتناسب ومداركه، والأمي كذلك بما يناسب استيعابه، وهنا أسلوب من أساليب الخطاب على قدر عقل المخاطَب، فالرياضة كانت غاية ما يدركه ركانة فدعاه النبي ﷺ إلى ربه من خلالها، فحيث تنفع الطرق النظرية فهي الأولى بالاستعمال في الدعوة، وحيث احتيج إلى الطرق العملية فلا تردد في استعمالها، وهذه هي الحكمة بعينها التي أمرنا الرحمن بسلوكها عند دعوتنا للناس، قال تعالى: ((﴿ ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ ۖ وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ﴾[1]، وهي الخير الكثير، ﴿ يُؤْتِى ٱلْحِكْمَةَ مَن يَشَآءُ ۚ وَمَن يُؤْتَ ٱلْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِىَ خَيْرًا كَثِيرًا ۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٢٦٩﴾ ﴾[2].

المطلب الثالث: توظيفه ﷺ لبعض المشاهد وسيلةً للتذكير والتحذير

واخترنا نموذجا له هو العذاب من أمور يراها الناس صغيرةً، فعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: مَرَّ النَّبِيُّ ﷺ بقَبْرَيْنِ فَقَالَ إِنَّهُمَا لَيُعَذَّبَانِ وَمَا يُعَذَّبَانِ فِي كَبِيرٍ أَمَّا أَحَدُهُمَا فَكَانَ لَا يَسْتَتِرُ مِنْ الْبَوْلِ وَأَمَّا الْآخَرُ فَكَانَ يَمْشِي بِالنَّمِيمَةِ ثُمَّ أَخَذَ جَرِيدَةً رَطْبَةً فَشَقَّهَا نِصْفَيْنِ فَغَرَزَ فِي كُلِّ قَبْرٍ وَاحِدَةً قَالُوا يَا رَسُولَ اللَّهِ لِمَ فَعَلْتَ هَذَا قَالَ لَعَلَّهُ يُخَفِّفُ عَنْهُمَا مَا لَمْ يَيْبَسَا))[3].

---

(١) سورة النحل: ١٢٥.

(٢) سورة البقرة: ٢٦٩.

(٣) رواه البخاري، كتاب: الوضوء: ١/ ٥٤ رقم (٢١٨)، واللفظ له، ومسلم، كتاب: الطهارة، باب: الدليل على نجاسة البول ووجوب الاستبراء منه: ١/ ٢٤٠ رقم (١١١).

غريب الحديث:

- الجريدة: سعفة النخيل[1].

المعنى العام:

يُوَّظِفُ النبيُ ﷺ في هذا الحديث الشريف أيضا ما كشف الله له من غيبيات في تذكير الناس وتحذيرهم، وهو أسلوب في غاية التأثير والقوة، لأن المقابر في حد ذاتها اكبر عبرة وأعظم عظة، وكفى بالموت واعظاً، ثم يأتي النبي ﷺ ليشق هذه الحجب المستورة على أحوال بني آدم تحت التراب ويُطْلَع الناس على بعض أسرارها ليعالج قضيتين كبيرتين في حقيقتهما وان لم يكونا كذلك في نظر صاحبيهما[2].

قال الخطابي[3]: (معناه أنهما لم يعذبا في أمر كان يكبر عليهما أو شق فعله لو أرادا أن يفعلاه وهو التنـزه من البول وترك النميمة، ولم يرد أن المعصية في هاتين الحالتين ليست بكبيرة، وأن الذنب فيهما هين سهل).

فالأولى وهي عدم التستر عند قضاء الحاجة، وفي ذلك كسر للحياء، فإن غيرَ المتستر في بوله وهو كاشف عن عورته مظنةُ وقوعِ نظرِ الناس عليه وعلى عورته، مما قد يخدش الحياء الاجتماعي خدشا كبيرا، فالمجتمع الإسلامي مجتمع فطري عفيف، غير مفضوح ولا سافر، فالرجل لا يعرف مكامن المرأة، والمرأة كذلك، وهذا بتركه للتستر قد شابه النساء الكاسيات العاريات كاسرات الحياء وكلا الصنفين مضر بالمجتمع الإسلامي المحافظ.

والثانية في الذي يمشي بالنميمة بين الناس، وهي نقل الكلام على جهة الفساد

(١) ينظر: الفائق في غريب الحديث: ١/ ٢٠٥، والنهاية في غريب الحديث والأثر:١/ ٢٥٧.
(٢) ينظر: فتح الباري:١/ ١١٣.
(٣) ينظر: عون المعبود: ١/ ٢٤.

والشر[1]، ولا يخفي مدى الضرر الذي يُلْحِقُه هذا النمام بالناس، فقد تقع التفرقة بين المرء وبين أخيه، أو زوجه، أو ولده، بسبب نميمته، والمجتمع الإسلامي - كما سبق - مجتمع متآلف متحابب، ولا خير فيمن يسعى لتفريقه وتشتيته، بل هو من شر الخلق، لقوله ﷺ: ((وَشِرَارُ عِبَادِ اللَّهِ الْمَشَّاءُونَ بِالنَّمِيمَةِ الْمُفَرِّقُونَ بَيْنَ الْأَحِبَّةِ الْبَاغُونَ الْبُرَآءَ الْعَنَتَ))[2]، وهو أيضا من أبغض الناس لرسول الله ﷺ لقوله ﷺ: ((وَإِنَّ أَبْغَضَكُمْ إِلَيَّ الْمَشَّاءُونَ بِالنَّمِيمَةِ، الْمُفَرِّقُونَ بَيْنَ الأَحِبَّةِ، الْمُلْتَمِسُونَ لِلْبُرَآءِ الْعَنَت))[3].

وبعد أن استكمل النبي ﷺ توضيح الدرس البالغ الأهمية في التذكير والتحذير، عاد ليعطي درسا آخر في الرحمة والشفقة، وهو درس عملي، والدروس العملية تكون أحياناً أبلغ في الوقع من النظرية، فأخذ سعفة نخل ما زالت رطبة، وشقها نصفين، ليضع على كل قبر نصفاً، لتتنزل تسبيحات هذه الجريدة تخفيفا وتهوينا عليهما من العذاب، أو كما قال الخطابي[4]:(هو محمول على أنه دعا لهما بالتخفيف مدة بقاء النداوة، لا أن في الجريدة معنىً يخصه، ولا أن في الرطب معنى ليس في اليابس).

الاستنباط:

- يعلمنا النبي ﷺ أن مجال الدعوة لا حدود له، فإنه من الممكن أن يكتفي النبي ﷺ

(١) ينظر: المصدر نفسه: ١/ ٢٤.

(٢) رواه أحمد، مسند الشاميين، حديث عبد الرحمن بن غنم الأشعري رضي الله عنه: ٤/ ٢٢٧ رقم (١٨٠٢٧). والحديث حسن بشواهده، كما في الحديث التالي له.

(٣) البزار، البحر الزخار، تحقيق: محفوظ الرحمن زين الله، مؤسسة علوم القرآن، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٩ه: ٤/ ٢٩١ رقم (٢٧١٩)، والمعجم الأوسط، أبو القاسم سليمان بن أحمد الطبراني، تحقيق: طارق بن عوض الله وعبد المحسن بن إبراهيم، دار الحرمين، القاهرة، ١٤١٥ه: ٧/ ٣٥٠ رقم (٧٦٩٧)، المعجم الصغير، أبو القاسم سليمان بن أحمد الطبراني، تحقيق: محمد شكور محمود، المكتب الإسلامي، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٥ه: ٢/ ٨٩ رقم (٨٣٥).

(٤) ينظر: عون المعبود: ١/ ٢٤.

بزيارة المقابر لتكون نقطة اعتبار وتذكّر، ولكنه ﷺ أراد يجعل من مكان الاعتبار وزمان الاعتبار اعتباراً وتذكيراً بحد ذاته، فتحدث لأصحابه عن ما يجري داخل القبرين، وعالج الموقف معالجة الداعية الرحيم، حين وضع جريدة النخل على القبرين، ليقول لامته من بعده إن الأفعال لا تقل أهمية عن الأقوال في إرشاد الناس ودعوتهم، وهو توظيف غريب لم يسبق لهم معرفته، وبليغ لاشتماله على ثلاث عبر، فالأولى كونها في المقابر، والثانية في كونها حديثاً مباشراً عما يحدث من عذابٍ داخل القبر، والثالثة في كونها مُبَيِّنَةً لسبب العذاب.

المطلب الرابع: توظيفه ﷺ بضرب المثل وسيلةً تصويريةً تقريبيةً

وهذه وسيلة جميلة، وجئنا بنموذج له وهو تساقط الخطايا بالوضوء والصلاة، حيث يصـوِّرُ النبي ﷺ تساقط الخطايا عن المصلي وتناثرها بتساقط ورق الشجر على الأرض إذا هُزَّ الغصن اليابس.

فعَنْ أَبِي عُثْمَانَ قَالَ: كُنْتُ مَعَ سَلْمَانَ الْفَارِسِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ تَحْتَ شَجَرَةٍ، وَأَخَذَ مِنْهَا غُصْنًا يَابِسًا، فَهَزَّهُ حَتَّى تَحَاتَّ وَرَقُهُ، ثُمَّ قَالَ: يَا أَبَا عُثْمَانَ، أَلَا تَسْأَلُنِي لِمَ أَفْعَلُ هَذَا؟ قُلْتُ: وَلِمَ تَفْعَلُهُ؟ فَقَالَ: هَكَذَا فَعَلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَأَنَا مَعَهُ تَحْتَ شَجَرَةٍ، فَأَخَذَ مِنْهَا غُصْنًا يَابِسًا فَهَزَّهُ، حَتَّى تَحَاتَّ وَرَقُهُ، فَقَالَ: ((يَا سَلْمَـانُ، أَلَا تَسْـأَلُنِي لِمَ أَفْعَلُ هَذَا؟)) فَقُلْتُ: وَلِمَ تَفْعَلُـهُ؟ قَالَ: ((إِنَّ الْمُسْلِـمَ إِذَا تَوَضَّأَ فَأَحْسَنَ الْوُضُوءَ ثُمَّ صَلَّى الصَّلَوَاتِ الْخَمْسَ تَحَاتَّتْ خَطَايَاهُ كَمَا يَتَحَاتُّ هَذَا الْوَرَقُ))، وَقَالَ: ﴿ وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ طَرَفَيِ ٱلنَّهَارِ وَزُلَفًا مِّنَ ٱلَّيۡلِۚ إِنَّ

ٱلْحَسَنَٰتِ يُذْهِبْنَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ ۚ ذَٰلِكَ ذِكْرَىٰ لِلذَّٰكِرِينَ ﴿١١٤﴾ ﴾[1][2].

غريب الحديث:

- تَحَاتَّ: أي تساقطت[3].

المعنى العام:

يُقَدِّمُ لنا هذا الحديث الشريف لوناً من ألوان كرم الله تعالى ورحمته بعباده المتوضئين منهم والمصلين من خلال هذه الصورة النبوية التقريبية، فالنبي ﷺ يأخذ بيده الشريفة غصنا يابسا، ويوظفه في التصوير والإفهام، فيهزه هزا تتساقط منه أوراقه كلها، ليقول لنا إن ذنوبكم تتساقط وتتناثر من على أبدانكم حين تتوضؤون وتصلون كما تساقطت هذه الورقات على الأرض، وهو تقريب وتوضيح للصورة التي طالما رسمها النبي ﷺ لأصحابه، في قوله ﷺ: عن أبي أمامة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: ((أَيُّمَا رَجُلٍ قَامَ إِلَى وَضُوئِهِ يُرِيدُ الصَّلاَةَ، ثُمَّ غَسَلَ كَفيهِ نَزَلَتْ خَطِيئَتُهُ مِنْ كَفيهِ مَعَ أَوَّلِ قَطْرَةٍ، فَإِذَا مَضْمَضَ وَاسْتَنْشَقَ وَاسْتَنْثَرَ نَزَلَتْ خَطِيئَتُهُ مِنْ لِسَانِهِ وَشَفَتَيْهِ مَعَ أَوَّلِ قَطْرَةٍ، فَإِذَا غَسَلَ وَجْهَهُ نَزَلَتْ خَطِيئَتُهُ مِنْ سَمْعِهِ وَبَصَرِهِ مَعَ أَوَّلِ قَطْرَةٍ، فَإِذَا غَسَلَ يَدَيْهِ إِلَى الْمِرْفَقَيْنِ، وَرِجْلَيْهِ إِلَى الْكَعْبَيْنِ، سَلِمَ مِنْ كُلِّ ذَنْبٍ هُوَّ لَهُ، وَمِنْ كُلِّ خَطِيئَةٍ، كَهَيْئَتِهِ يَوْمَ وَلَدَتْهُ أُمُّهُ، قَالَ: فَإِذَا قَامَ إِلَى الصَّلاَةِ، رَفَعَ اللهُ بِهَا دَرَجَتَهُ، وَإِنْ قَعَدَ قَعَدَ سَالِمًا))[4].

---

(١) رواه أحمد، باقي مسند الأنصار، حديث رفاعة بن شداد عن عمرو بن الحمق رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: ٥/ ٤٣٧ رقم (٢٣٧٥٨)، والدارمي، كتاب: الطهارة، باب: فضل الوضوء: ١/ ١٩٧ رقم (٧١٩)، والطبراني في الكبير: ٦/ ٢٥٧ رقم (٦١٦٤)، و(رواة أحمد محتج بهم في الصحيح إلا علي بن زيد، وإسناده حسن لغيره)، الترغيب والترهيب للمنذري، تحقيق: يوسف الحاج أحمد: ١٢٤.

(٢) سورة هود: ١١٤.

(٣) ينظر: الفائق في غريب الحديث: ١/ ٢٥٨، والنهاية في غريب الحديث والأثر: ١/ ٣٣٧.

(٤) رواه أحمد، باقي مسند الأنصار، حديث أبي أمامة الباهلي الصدى بن عجلان عن عمرو بن وهب

الاستنباط:

- يعلمنا النبي ﷺ درساً بليغاً من دروس الدعوة، وهو أن الداعية عليه أن يجعل من كل شيء حوله وسيلةً يوظفها في دعوته، إذ ما قيمة الغصن اليابس وما أثره؟ لكن النبي ﷺ استطاع أن يوظفه في أمر جميل من أمور الدعوة، وهو تقريب صُوَرِيٌّ لأحاديثه القولية في هذا الموضوع، وبمعنى أوضح: إن الداعية حين يصدق مع ربه فيما استعمله سيجد أن كل شيء مسخر له لتوظيفه في دعوته.

❊ ❊ ❊

الباهلي عن النبي ﷺ: ٥/ ٢٦٣ رقم (٢٢٣٢١). وهو إسناد حسن في المتابعات لا بأس به. [ينظر: الترغيب والترهيب للمنذري، تحقيق: إبراهيم شمس الدين: ١/ ٩٤].

الخاتمة

ـ - إن الناظر في حال المجتمع العربي قبل البعثة المشرفة ليدرك جسامة المهمة التي أُنِيْطَتْ برسول الله ﷺ في إصلاح أمر هذا المجتمع ومعالجة قضاياه، فأُنَاسُه يَعُدُّوْنَ أنفسهم على صواب في كل ما يفعلونه، بدءً بعبادتهم للأوثان، ومرورا بالفواحش كالخمر، والميسر، والزنا، وبالجرائم كوأد البنات، والاقتتال حميةً وعصبيةً، وانتهاءً بالغناء والرقص، مما جعل لقب الجاهلية عنواناً لتلك الحقبة من الزمن، ولكن هذا لا يعني خُلُوَهَا التامَ من بعض ألوان الخير ومحاسن الخلق، لقوله ﷺ: ((إِنَّمَا بُعِثْتُ لأُتَمِّمَ مَكَارِمَ الْأَخْلَاقِ))[1]، فهم خليط من هذا وذاك، منغمسون بالرذائل، برغم تَحَلِّيهم ببعض الفضائل، وحتى يشرع امرؤ ما في تطهير هذا الواقع من تلك القاذورات، فإنه بحاجة إلى الكثير من المؤهلات والمقومات، والتي لم تجتمع قط إلا في رسول الله ﷺ، فما برح رسول الله ﷺ حتى بذل كل ما يمكن أن يبذله، ووَظَّفَ كل ما يقدر على توظيفه، للإتيان بأبلغ الأساليب، وأنفع الوسائل، التي من شأنها التأثير في نفوس الناس وهدايتهم إلى الصراط المستقيم، لكي ينتشلهم من ظلمات الجاهلية، ويطهرهم بماء الإسلام الأطهر، فاستطاع ﷺ بتوفيق ربه سبحانه أن يهديهم ويعلمهم ويربيهم إلى أن صيَّرَهم من أناس رعاة للغنم إلى قادة للشعوب والأمم، ليسجل التاريخ البشري أن عصره ﷺ هو خير عصر شهدته البطحاء على ظهرها.

ـ - لم يكن المنبر للنبي ﷺ هو الساحة الوحيدة لنشر الهدى، بل كان كل منزل ينزله،

---

(١) أحمد، مسند المكثرين من الصحابة، مسند أبي هريرة رضي الله عنه: ٢/ ٣٨١ رقم (٨٩٣٩)، بلفظ (صالح الأخلاق)، والسنن الكبرى، أحمد بن الحسين أبو بكر البيهقي، تحقيق: محمد عبد القادر عطا، مكتبة دار الباز، مكة المكرمة، ١٤١٤ه: ١٠/ ١٩١ رقم (٢٠٥٧١)، واللفظ له، والطبراني في المعجم الأوسط: ٧/ ٧٤ رقم (٦٨٩٥). والحديث صحيح.

وكل محل يحل فيه، منبراً له ينير به للناس، ويهديهم سبيل الحق، ولنا أن نشخص أكثر فنقول إن ليد رسول الله ﷺ منبراً حيث بطشت، ولرجله منبراً حيث سعت، ولعينه منبراً حيث أبصرت، فلم تمر ساعة من حياته إلا كانت دعوة لله، فحركاته دعوة، وسكناته دعوة، وأنفاسه دعوة، فما من بقعة وطأتها قدماه الشريفتان إلا تشهد له بأدائه للأمانة، وتبليغه للرسالة، وهذا كله ليدفعنا إلى إعادة النظر في الكثير من المجالات والمناسبات والمواطن التي لم نستثمرها بعدُ في دعوتنا، وما أحوجنا إليها اليوم.

- **الوصـــايـا: أوصـي بمـا يـأتـي:**

١. ضرورة الإسراع بالتوجه لدراسة الحديث الشريف دراسة تحليلية استنباطية لاستخراج الدرر والنفائس التي تتولد في كل نص مع كل جيل وزمن، وتنوير المسلمين بها.

٢. التذكير بمدى حاجة الخطاب الديني اليوم إلى التحديث والتطوير مع الإبقاء على الأصالة الشرعية.

٣. السعي إلى استحداث أساليب للخطاب ووسائل للإقناع تتوافق مع مستوى إدراك الناس اليوم وفهمهم خاصةً ونحن نعيش هذه الثورة العلمية الحديثة.

٤. تذكير الدعاة بأهمية البحث عن الوسائل والسبل الحديثة والكفيلة بإيصال المعلومة الدينية إلى أعماق القلوب، والخروج عن الطور القديم الذي لم يعد كثير النفع والتأثير.

ختـــامـاً ... ﴿ قُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ وَسَلَٰمٌ عَلَىٰ عِبَادِهِ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَىٰٓ ﴾، والحمد لله أولاً وأخراً ودائماً...

المصادر والمراجع

القـرآن الكـريم.

١. الأدب المفرد – محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة البخاري، أبو عبد الله – ت ٢٥٦هـ – تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي – دار البشائر الإسلامية – بيروت – الطبعة الثالثة، ١٤٠٩ هـ.

٢. الإصابة في تمييز الصحابة – ابن حجر العسقلاني – ت ٨٥٢ هـ – تحقيق: علي محمد البجاوي – دار الجيل – بيروت – ١٤١٢ هـ – الطبعة الأولى.

٣. البزار – البحر الزخار – تحقيق: محفوظ الرحمن زين الله – مؤسسة علوم القرآن – بيروت – الطبعة الأولى – ١٤٠٩هـ.

٤. الترغيب والترهيب، عبد العظيم بن عبد القوي المنذري، تحقيق: إبراهيم شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٧هـ.

٥. الترغيب والترهيب – أبو محمد عبد العظيم بن عبد القوي المنذري – ت ٦٥٦ هـ – تحقيق: يوسف الحاج احمد – مكتبة ابن حجر – دمشق – ١٤٢٤ هـ – الطبعة الأولى.

٦. التقييد – أبو بكر محمد بن عبد الغني البغدادي – ت ٦٢٩ هـ – تحقيق: كمال يوسف الحوت – دار الفكر – بيروت – ١٤٠٨ هـ – الطبعة الأولى.

٧. الجامع لأحكام القرآن – أبو عبـد الله محمد بن أحمد بن فرح القرطبـي – ت ٦٧١ هـ – تحقيق: احمد عبد العليم البردوني – دار الشعب – القاهرة – ١٣٧٢ هـ – الطبعة الثانية.

٨. الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله ﷺ وسننه وأيامه (صحيح البخاري) – محمد بن إسماعيل أبو عبدالله البخاري الجعفي – تحقيق: محمد زهير بن

ناصر الناصر – دار طوق النجاة – الطبعة الأولى – ١٤٢٢هـ.

٩. الروض الأنف في شرح السيرة النبوية لابن هشام – أبو القاسم عبد الرحمن بن عبد الله السهيلي – ٥٨١ه – تحقيق: عمر عبد السلام السلامي – دار إحياء التراث العربي – بيروت – الطبعة الأولى – ١٤٢١ه.

١٠. السنن الكبرى – أحمد بن الحسين أبو بكر البيهقي – تحقيق: محمد عبد القادر عطا – مكتبة دار الباز – مكة المكرمة – ١٤١٤ه.

١١. السيرة النبوية – أبو محمد عبد الملك بن هشام بن أيوب الحميري – ت ٢١٨ هـ – تخريج: يوسف الحاج احمد – مكتبة ابن حجر – دمشق – ٢٠٠٥م – الطبعة الأولى.

١٢. السيرة النبوية – أبو الفداء إسماعيل بن كثير – ت٧٤٧ه – تحقيق: مصطفي عبد الواحد – دار المعرفة – بيروت.

١٣. العين– أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد الفراهيدي– ت ١٧٥ هـ – تحقيق: مهدي المخزومي وإبراهيم السامرائي – دار ومكتبة الهلال.

١٤. الفائق في غريب الحديث – محمود بن عمر الزمخشري – ت ٥٣٨ هـ – تحقيق: علي محمد البجاوي ومحمد أبو الفضل إبراهيم – دار المعرفة – لبنان – الطبعة الثانية.

١٥. القاموس المحيط – محمد بن يعقوب الفيروزآبادي – ت ٨١٧ هـ – مؤسسةالرسالة – بيروت.

١٦. المستدرك على الصحيحين – محمد بن عبد الله أبو عبد الله الحاكم النيسابوري – ت ٤٠٥ هـ – تحقيق: مصطفي عبد القادر عطا – دار الكتب العلمية – بيروت – ١٩٩٠ م – الطبعة الأولى.

١٧. المصباح المنير – احمد بن محمد بن علي المقري الفيومي – ت ٧٧٠ هـ – المكتبة العلمية – بيروت.

١٨. المعجم الأوسط - أبو القاسم سليمان بن أحمد الطبراني - تحقيق: طارق بن عوض الله وعبد المحسن بن إبراهيم - دار الحرمين - القاهرة - ١٤١٥ه.

١٩. المعجم الصغير - أبو القاسم سليمان بن احمد الطبراني - ت ٣٦٠ هـ - تحقيق: محمد شكور محمود الحاج - المكتب الإسلامي - بيروت - ١٤٠٥ هـ - الطبعة الأولى.

٢٠. المعجم الكبير - أبو القاسم سليمان بن احمد الطبراني - ت ٣٦٠ هـ - تحقيق: حمدي بن عبد المجيد - مكتبة العلوم والحكم - الموصل - ١٤٠٤ هـ - الطبعة الثانية.

٢١. المغرب في ترتيب المعرب - أبو الفتح ناصر الدين بن عبد السيد بن المطرز - ت ٦١٠ هـ - تحقيق: محمود فاخوري وعبد الحميد مختار - مكتبة أسامة بن زيد - حلب - ١٩٧٩م - الطبعة الأولى.

٢٢. المنهاج في شرح صحيح مسلم بن الحجاج - أبو زكريا النووي - ت ٦٣١ هـ - دار الكتاب العربي - بيروت - ١٤٠٧ هـ - الطبعة الثانية.

٢٣. النهاية في غريب الحديث والأثر - أبو السعادات المبارك بن محمد الجزري - ت ٦٠٦ هـ - تحقيق: طاهر احمد الزاوي ومحمود محمد الطناحي - المكتبة العلمية - بيروت - سنة الطبع ١٩٧٩ م.

٢٤. تحفة الأحوذي في شرح الترمذي - صفي الرحمن المباركفوري: ت ١٣٥٣ هـ - دار الكتب العلمية - بيروت - ١٤١٠ هـ - الطبعة الأولى.

٢٥. تفسير القرآن العظيم - إسماعيل بن عمر بن كثير الدمشقي - ت ٧٧٤ هـ - دار الفكر - بيروت - ١٤٠١هـ.

٢٦. دلائل النبوة - إسماعيل بن محمد بن الفضل الاصبهاني - تحقيق: محمد محمد الحداد - دار طيبة - الرياض - الطبعة الأولى - ١٤٠٩ه.

٢٧. سنن ابن ماجه - محمد بن يزيد القزويني - ٢٧٥ هـ - تحقيق: محمد فؤاد عبد

الباقي – دار الفكر – بيروت.

٢٨. سنن أبي داود – سليمان بن الأشعث السيجستاني – ٢٧٥ هـ – تحقيق: محمد سعيد اللحام – دار الفكر – بيروت – ١٤١٠ هـ – الطبعة الأولى.

٢٩. سنن البيهقي الكبرى – أبو بكر احمد بن حسين البيهقي – ت ٤٥٨ هـ – تحقيق: محمد عبد القادر عطا – مكتبة دار الباز – مكة المكرمة – ١٤١٤ هـ.

٣٠. سنن الترمذي – محمد بن عيسى الترمذي – ٢٧٩ هـ – تحقيق وتخريج: يوسف الحاج احمد – مكتبة ابن حجر – دمشق – ٢٠٠٤م – الطبعة الأولى.

٣١. سنن الدارمي – عبد الله بن عبد الرحمن أبو محمد الدارمي – تحقيق: فواز احمد زمرلي وخالد السبع – دار الكتاب العربي – بيروت – الطبعة الأولى – ١٤٠٧ه.

٣٢. سنن النسائي – احمد بن شعيب النسائي – ٣٠٣ هـ – دار الفكر – بيروت – الطبعة الأولى.

٣٣. سير أعلام النبلاء – أبو عبد الله محمد بن احمد الذهبي الدمشقي – ت ٧٤٨ هـ – تحقيق: شعيب الأرناؤوط ومحمد نعيم العرقسوسي – مؤسسة الرسالة – بيروت – ١٤١٣ هـ – الطبعة التاسعة.

٣٤. شذرات الذهب في أخبار من ذهب – أبو الفلاح عبد الحي بن العماد الحنبلي – ت ١٠٨٩ هـ – دار الكتب العلمية – بيروت.

٣٥. شرح سنن ابن ماجه – عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي – ٩١١ هـ – قديمي كتب خانة – كراتشي.

٣٦. شعب الإيمان – أبو بكر احمد بن حسين البيهقي – ت ٤٥٨ هـ – تحقيق: محمد السعيد بسيوني زغلول – دار الكتب العلمية – بيروت – ١٤١٠ هـ – الطبعة الأولى.

٣٧. صحيح مسلم – مسلم بن الحجاج النيسابوري – ٢٦١ هـ – دار الفكر – بيروت.

٣٨. طبقات الحفاظ – عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي – ٩١١ هـ – دار الفكر – بيروت – ١٤٠٣ هـ – الطبعة الأولى.

٣٩. عون المعبود شرح سنن أبي داود– محمد شمس الحق العظيم آبادي – ت ١٣٢٩ هـ – دار الكتب العلمية – بيروت – ١٤١٥ هـ – الطبعة الثانية.

٤٠. غريب الحديث لابن الجوزي – عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي – ت ٥٩٧ هـ – تحقيق: عبد المنعم أمين قلعجي – دار الكتب العلمية – بيروت – ١٩٨٥م – الطبعة الأولى.

٤١. غريب الحديث لابن سلام – أبو عبيد القاسم بن سلام الهروي – ت ٢٢٤ هـ – تحقيق: محمد عبد المعين خان – دار الكتاب العربي – بيروت – ١٣٩٦ هـ – الطبعة الأولى.

٤٢. غريب الحديث للخطابي – أبو سليمان حمد بن محمد بن ابراهيم الخطابي – ت ٣٨٨ هـ – تحقيق: عبد الكريم إبراهيم العزباوي – جامعة أم القرى – مكة المكرمة – ١٤٠٢ هـ.

٤٣. فتح الباري شرح صحيح البخاري– ابن حجر العسقلاني – ت ٨٥٢ هـ – دار المعرفة للطباعة والنشر – بيروت – الطبعة الثانية.

٤٤. فيض القدير شرح الجامع الصغير– عبد الرحمن المناوي– المكتبة التجارية الكبرى– مصر– ١٣٥٦ هـ – الطبعة الأولى.

٤٥. كشف الظنون – مصطفي بن عبد الله القسطنطيني الرومي الحنفي – ت ١٠٦٧ هـ – دار الكتب العلمية – بيروت – ١٤١٣ هـ.

٤٦. مختار الصحاح - محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الرازي- ت ٧٢١ هـ - تحقيق: محمود خاطر - مكتبة لبنان ناشرون - بيروت - ١٩٩٥م.

٤٧. مسند الإمام أحمد - الإمام أحمد بن حنبل - ٢٤١ هـ - تعليق: شعيب الأرناؤوطي - المكتبة الميمنية - مصر.

٤٨. معجم البلدان - أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الحموي - ت ٦٢٦ هـ - دار الفكر - بيروت.